جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب والسنة
مكة المكرمة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٢٦

# آيات البعث في القرآن الكريم

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
فرع الكتاب والسنة

مقدمة من :
عبد العزيز بن راجي الصاعدي
باشراف :
فضيلة الاستاذ الدكتور محمد محمد السماحي

٠٠٢٠٢٥ / ٠
جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية
قسم الدوريات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

١٣٩٧هـ
١٩٧٧م

## شكـــر وتقديـــر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنـــا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

اما بعد . .

فانى احمد الله عز وجل على مامن به على من نعم كثيرة لا احصـــى لها حصرا ومن تلك النعم منه على باتمام رسالتى هذه .

كما اتوجه بالشكر العميق الى كل من الجامعة الاسلامية بالمدينـــة المنورة والقائمين عليها لما اتته لى هذه الجامعة من خدمات علميـــــة ومادية استطعت بفضل الله ثم بواسطتها متابعة دراستى ، فجزاهـــــا الله عنى خيرا .

كما اشكر جامعة الملك عبدالعزيز والقائمين عليها لما هيـأتـــــه لى من جو ملائم للدراسة من تهيئة نخبة ممتازة من الاساتذة الكـــــرام القادرين على توجيه طلابهم توجيها علميا صحيحا سالما من التيـــــارات الفاســـدة .

ومن مراجع مفيدة ومكتبات عظيمة تساعد الطلاب على جمع المعلومات فجزاها الله خيرا ووفقها لنشر رسالتها المجيدة .

ومن الواجب على فى هذا المقام ان اخص بالشكر الجزيل شيخـــى واستاذى الشيخ الدكتور محمد محمد السماحى حيث مافتئ يساعدنـــى ويوجهنى التوجيهات العلمية الهادفة التى انارت الطريق امامـــــى فجزاه الله عنى خير الجزاء وبارك فى علمه وعمله وعمره .

عبدالعزيز الصاعدى

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورانفسنا ومن سيئات اعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى لـــه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسولـه صلى الله عليه وسلم ـ واشهد ان الجنة حق والنار حق وان البعث ـ كـــا بينه الله فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ـ حق ، وان اختلـف فيه المختلفون وشك فيه الشاكون او جحده الجاحدون لغلبة الهوى والشهوة او لقصور العلم وعدم طلب الحق من مظانه .

اما بعد .. فقد اخترت ان يكون موضوع بحثى لاعداد رسالـــة الماجستير ـ فى فرع الكتاب والسنة بقسم الدراسات العليا الشرعية بجامعـة الملك عبد العزيز :

"آيات البعث فى القرآن الكريم" .

ومن الاسباب التى دفعتنى الى اختيار هذا الموضوع :

اهتمام القرآن بهذه القضية وتأكيده عليها ، فلقد جعلها فى المرتبـة الاولى بعد قضية الوحدانية من حيث الاهتمام والاحتجاج ، وتكرار ذلـــك فى غالب سور القرآن الكريم تكرارا لفت نظرى واوجد عندى اسئلة كثيرة :

لماذا كل هذا التكرار ؟ لماذا تختلف الصيغ فى بعض مواضع التكرار وتتفق فى البعض الاخر ؟ ما الفائدة التى يعطيها هذا التكرار ؟ ثـــم لماذا لا نجد ولو بعض هذا الاهتمام اذا رجعنا للتوراة والانجيل ، ثـــم لماذا انكره المنكرون ؟ ماهى حجتهم لهذا الانكار ؟ هل سبب الاهتمـــام القرآنى بهذه القضية هو قوة حجة المنكرين ام لامر آخر وماهو ؟

والمقرون بالبعث لم يختلفون فى كيفيته هل هو جسمانى وروحانـــى ام روحانى فحسب .

كل هذه الاسئلة كانت تدور فى ذهنى عند قراءة القرآن الكريم .

فرجوت ان اجد من بحثى جوابا لها مع ان البحث فى كتاب اللـــه اشرف وانفع منه فى غيره ، يربط الباحث بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديـــه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فاستخرت الله تعالى فى اختيار هـــذا

الموضوع فشرح الله صدرى للكتابة فيه ، فاستعنت الله سبحانه وتعالى واخترت بحث الايات على ترتيب نزولها لاستبانة تدرج القرآن فى اثبات هذه القضية واخترت من روايات ترتيب النزول الرواية المروية عن ابن عباس لعلو اسنادها وقوة رجاله .

وقبل دراسة الايات القرآنية الدالة على البعث سأمهد للموضـــــوع بعرض موجز لعقيدة البعث عند الامم السابقة للاسلام .

* * *

## خطـــة البحـــث

( ١ ) الخطبة :

وتشتمل بعد الحمد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم علـى الباعث على اختيار الموضوع .

( ٢ ) المقدمة :

وتشتمل على دراسة موجزة للاديان السابقة للاسلام .

( ٣ ) دراسة الايات القرآنية الدالة على البعث على ترتيب نزولها وسلكـــت فى ذلك الطريقة التالية :

( أ ) اذكر النص القرآنى .

(ب) ابين النص .

(جـ) استخلص النتيجة من الايات .

( ٤ ) الرد على الفلاسفة فى انكارهم البعث الجسانى .

( ٥ ) الخاتمة وفيها ذكر اجمالى لنتائج البحث .

* * *

## المقدمـــة

### البعث لغـة واصطلاحا .

### البعث فى اللغة :

اصل البعث اثارة الشيء وتوجيهه . يقال بعثته فانبعث اى اثرتـه يقال بعثت الناقة اذا اثرتها .

ويختلف البعث بحسب ماعلق به .(١)

### البعث فى الاصطلاح :

اما فى الاصطلاح فللبعث اطلاقان :

احدهما بمعنى الارسال كقوله تعالى : " ولقد بعثنا فى كل امة رسولا "

وثانيهما وهو المراد هنا : ارجاع الموتى احياء للجزاء نعيما اوعقابا .

وقد اختلف المختلفون حول هذه الحقيقة اواقعة ام غير واقعة .

والقائلون بوقوعها يختلفون فى كيفية وقوعها فمنهم من يقول بالبعـث الروحى ومنهم من يقول بالبعث الجسانى ومنهم من يقول بالبعث الروحـــى والجسمانى معا .

والقائلون بعدم الوقوع فريقان :

الاول : قال بالتناسخ .

والثانى : قال بانها ارحام تدفع وارض تبلع وما يهلكنا الا الدهر .

ولتفصيل هذا الموضوع اقول ومن الله استمد العون والتوفيق .

### البعث فى عقائد الامم السابقة للاسلام .

القائلون بالبعث والجزاء منهم :

( ١ ) قدماء المصريين :

من قال بالبعث والجزاء بعد الموت قدماء المصريين الا انهـــم -

---

( ١ ) انظر هذه المعانى فى :المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى (ص٥٢ ) ط/الاخيرة مطبعة الحلبى بمصر، ومعجم مقاييس اللغـــة لابى الحسين بن فارس ( ١ : ٢٦٦ ) ط/الثانية مطبعة الحلبى بمصر =

بحسب مايظهر من اقوالهم - لا يقولون بان البعث عام لجميع الخلق بل انه من نصيب الاخيار السعداء وحدهم ،اما الاشرار فيتركون فى قبورهم يجوعون ويظمأون ولا يخرجون من قبورهم .

وتتلخص عقيدة قدماء المصريين فى البعث والجزاء فى :

( ١ ) يظهر الانسان بعد موته فى الحال امام محكمة اسوريس لمحاسبته على ماعمل من الحسنات والسيئات (١) .

( ٢ ) لا يكتب الخلود الا للاخيار الذين لم يرتكبوا الاثام ولم يفعلوا الشر ،اما الاشرار فانهم يتركون فى قبورهم ويطعمون التماسيح البشعة . والوحش عمم نأخذ هذا من خطاب اسوريس لمن رجحت سيئاته على حسناته فما يقوله اسوريس للوحش الموكل بعذاب المصاة وانت ياعمم الوحش المفترس قطعه اربا اربا وتغذ من احشائه فليفن جسدك ايها الخاطئ ولتعدم نفسك وليشطب اسمك من سفر الحياة . الخ (٢)

( ٣ ) اعتقدوا ان الجسم تسكنه صورة اخرى مصغرة تسمى القرينة كما تسكنه روح تقيم فيه اقامة الطائر الذى يرفرف بين الاشجار ،وهذه الثلاثة مجتمعة - الجسم والقرينة والروح - تبقى بعد الموت وفى استطاعتها ان تتجو منه وقتا يطول او يقصر بقدر مايحتفظ بالجسم سليما من البلى (٣) .

لهذا نراهم وقد بذلوا اقصى الجهد للمحافظة على الاجسام من البلى بواسطة التحنيط .

( ٤ ) محكمة اسوريس .

يرأس اسوريس - الاله الصالح - محكمة العدل الكبرى جالسا على عرشه

---

= ولسان العرب لابن منظور ( ٢ : ١١٦ - ١١٧ ) ط/دار صابر للطباعة والنشر بيروت عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م .

( ١ ) الادب والدين عند قدماء المصريين (ص١٠٧) ،لانطون زكرى ط/الاولى ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م مطبعة المعارف .

( ٢ ) نفس المصدر (ص١١٢) وانظر قصة الحضارة ( ٢ : ١٦٣ ) ،ول ديورانت ط/الثالثة ١٩٦١م .

( ٣ ) قصة الحضارة ( ٢ : ١٦٤ ) .

وامامه احفاده ابناء حوريس وآلهة اربعة اركان العالم ومعهم اثنان واربعون قاضيا وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزا للمعبودة (معت) ممثلة الحق والاستقامة والعدل وفى يد كل منهم سيف لقتل الخاطىء ووظيفتهم ملاحظة مايظهر فى كفتى الميزان الذى يزن الحسنات والسيئات وتطبيق نتيجتها على اقواله حين يدافع عن نفسه امام القضاة .

وامام اسوريس وحش يدعى ( عمم ) متحفزا لافتراس الميت اذا رجحت كفة ميزان خطاياه .(١)

( ٥ ) الجزاء .

أ - جزاء الاخيار: اذا اتضح من محكمة اسوريس ان المتوفى من الصالحين وان قلبه وكل اعضائه طاهرة نطق اسوريس بالحكم النهائى فليخرج الميت فائزا من قاعة العدل وليذهب حيثما شاء ولتفتح له ابواب الجنة ولتزفه جميع الالهة اليها ولا يتعرض له حراس السماء بسوء ولتقدم له المؤونة والقرابين والشراب وليمنح له ثياب من الكتان الجيد وليرد اليه قلبه(٢) ولتوهب له حياة جديدة وليجلس عن يمينى فى الفردوس السماوى(٣) .

ب - جزاء الاشرار : اذا تبين من محكمة اسوريس ان الميت من العصاة الاشرار يقول له اسوريس : اذهب عنى ايها الشرير الى الجحيم لتلاقى اشد العذاب وامر النكال وانتم ايها القضاة اقتلوه بسيوفكم وتغذوا من لحمه واشربوا من دمه وانتن ايتها الارواح الشريرة اضربنه بالحديد واحرقنه بالنار وانت ياعمم الوحش المفترس قطعه اربا اربا وتغذ من احشائه ،فليفن جسدك ايها الخاطىء ولتعدم نفسك وليشطب اسمك من سفر الحياة قد جعلتك غنيمة للافاعى وفريسة للوحوش الضارية وانتم يازبانية جهنم اسحبوه على وجهه الى

---

( ١ ) الادب والدين عند قدماء المصريين (ص ١٠٧ ) لانطون زكرى .
( ٢ ) لان قلبه قد اخذ عند وزن اعماله ليوضع فى الميزان رمزا لاعماله .انظر كتاب الادب والدين عند قدماء المصريين (ص ١١١ ) .
( ٣ ) الادب والدين عند قدماء المصريين (ص ١١١ ) .

الجحيم واقطعوا رأسه على خشبة العار ومزقوا جسمه كل ممزق والقوه في اتون النار[1] .

( ٢ ) الزرادشتيه :

ومن آمن بالبعث والجزاء من الامم السابقة للاسلام الزرادشتيه فالمجوس المتمسكون بديانة زرادشت يؤمنون بالبعث والجزاء الجسمانيين ويؤمنون بجزاء بعد الموت وقبل يوم القيامة ( نعيم او عذاب القبر ) .

فهم يعتقدون ان الميت اذا مات تبقى روحه الى جانب جسده ثلاثة ايام وثلاث ليال وفي فجر اليوم الرابع تصل الروح الى البرزخ الرفيع المخيف للديان (جسر تشنفات) حيث يتحتم ان يذهب كل انسان تنقذ روحه وكل انسان تلعن روحه وسوف توزن اعمالهم وحين تمضي روح المستنقذ على هذا البرزخ اذا بمرض هذا البرزخ يبدو كأنه فرسخ وتأتي اعماله للقائه في هيئة فتاة اجمل وانصع من اى فتاة في الارض، ثم اذا هو بخطوته الاولى يبلغ السماء بالافكار الطيبة، وبالثانية بالكلمات الطيبة، وبالثالثة بالاعمال الطيبة وبخطوته الرابعة يصل الى النور اللانهائي الذى هو النعيم كله ويسكن الى الابد مع الالهة الروحانيين في النعيم كله الى غير نهاية[2] .

اما في حالة روح الملعون فان جسده بعد ثلاثة ايام وثلاث ليال يحمل ويجر على جسر (تشينفات) على يد مارد ومن ثم الى الجحيم وتتلقاه فتاة ليس فيها شبه بفتاة فيمر في جهنمات ثلاث وهي الافكار الشريرة والكلمات الشريرة والافعال الشريرة وينتهي بخطوته الرابعة الى حضرة اهريمان[3] ، واهريمان هو الشيطان اله الظلمة . كل ذلك يكون في القبر قبل يوم القيامة .

---

( ١ ) نفس المصدر (ص ١١٢ ) .

( ٢ ) اساطير العالم القديم ـ اساطير ايران القديمة (ص ٣١٦ ) ، م . ج . درسدن ـ ترجمة احمد عبد الحميد يوسف .

( ٣ ) اساطير العالم القديم ـ اساطير ايران القديمة (ص ٣١٦ ) ، م . ج . درسدن .

فاذا جاء يوم القيامة بعثت الاجساد وردت اليها الارواح ليكون الجزاء على الاعمال خيرها وشرها فاذا بعثت الاجساد واتحدت بارواحها كان على كل من الاخيار والاشرار ان يحتطوا تعذيبا برصاص مذاب على مدى ثلاثة ايام ويكون هذا هو العذاب الاخير للملعونين الاشرار، اما الاخيار المنقذون فلا يسبب لهم اى اذى وذلك ان المعدن المنصهر المارم يبدو لهم كأنه لبن دافئ، واخيرا يضمن (السوشيان) خلود المنبعثين باعداد شراب الخلود لهم (هاوما) ويصبح العالم الصادى خالدا الى ابد الابدين (١).

(٣) من قال بالبعث والجزاء من اليهود :

عند البحث عن عقائد اليهود فى البعث والجزاء هناك مرجعان اساسيان يرتكز عليهما الحكم فى عقيدة هذه الامة وان كانت ثمة مصادر اخرى يمكن الاعتماد عليها .

_ وهذان المرجعان هما : العهد القديم من الكتاب المقدس والتلمود .

وعند البحث فى العهد القديم الذى بين ايدى الناس اليوم - وهو كتاب اليهود الاول لا نجد ذكرا للعالم الاخر واضحا يمكن الجزم بان المراد به هو البعث والجزاء فى اليوم الاخر .

بل ان السياق يؤيد كون الجزاء على الشر والخير كان يتحقق فى الدنيا للافراد او الجماعات الا ان هناك اشارة فى كتاب اشعيا (.. هو ذا الرب يخلى الارض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها .....من اطراف الارض سمعنا ترنيمة مجدا للبار فقلت ياتلفى ياتلفى ويل لى الناهبون نهبوا الناهبون نهبوا نهبا عليك رعبوحفرة وفخ ياساكن الارض ويكون الهارب عن صوت الرعب يسقط فى الحفرة والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ لان مياذيب من العلاء انفتحت واسس الارض تزلزلت وانسحقت الارض انسحاقا تشققت الارض تشققا تزعزعت الارض تزعزعا ترنحت الارض ترنحا

---

(١) نفس المصدر (ص ٣١٦ - ٣١٧) .

كالسكران وتدلدلت كالمرزال وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقـــوم ويكون فى ذلك اليوم ان الرب يطالب جند العلاء فى العلاء وملـــوك الارض على الارض ويجمعون كاسارى فى سجن ويغلق عليهم فى حبس ثم بعـــد ايام كثيرة يتعهدون ويخجل القمر وتخزى الشمس لان رب الجنود قد ملـــك فى جبل صهيون وفى اورشليم وقدام شيوخه . . )[1] .

هذه اول اشارة عن يوم كيوم القيامة وردت فى كتاب اشعيا ولكنهـــا ليست صريحة فى ان المراد يوم القيامة فقد يكون يوما من ايام الدنيـــا ينصر فيه اليهود على اعدائهم بل لعل هذا هو الظاهر .

فان كان المراد به يوم القيامة ، فهو من بقايا تعاليم الانبياء واثـــر دعوتهم مما لم تنله يد التحريف فان شريعة موسى لا شك قد حملت الى بـــنى اسرائيل صورة واضحة للبعث والجزاء والجنة والنار . وان يكن بنو اسرائيـــل قد عبثوا بها فى عهد من عهودهم فان ذلك لا ينفى وجود اثر باق لها فـــى بعض الصحف او فى بعض الصدور .

لا كما يقول صاحب قصة الحضارة ومن تابعه ، اذ يقول : ( ولم تـــدر فكرة البعث فى خلد اليهود الا بعد ان فقدوا الرجاء فى ان يكون لهـــم سلطان فى هذه الارض ولعلهم اخذوا الفكرة عن الفرس او لعلهم اخـــذوا شيئا منها عن المصريين )[2] .

واوضح مما تقدم عند اشعياء ما جاء فى الاصحاح الثانى عشر مـــن كتاب دانيال اذ يقول : ( وكثيرون من الراقدين فى تراب الارض يستيقظـــون هؤلاء الى الحياة الابدية وهؤلاء الى العار للازدراء الابدى ) .

وهذا ولا شك من بقايا الديانة السماوية مما لم تنله ايدى المحرفـين وهو من الحجج على منكرى البعث .

وهناك فرقة من اليهود تسمى فرقة (الاسبين ، او الاسيين ) تؤمـــن بالبعث والقيامة ، وقد كانت هذه الفرقة بالاسكندرية فى القرن الثانى قبـــل الميلاد[3] .

---

( ١ ) كتاب اشعياء الاصحاح الرابع والعشرون .
( ٢ ) قصة الحضارة ( ٢ : ٣٤٥ ) ول ديورانت ، ط/الثالثة عام ١٩٦١م .
( ٣ ) مع المسيح فى الاناجيل الاربعة (ص ٦٧ ) لفتحى عثمان .

( ٤ ) البعث عند النصارى :

للنصارى فى البعث والجزاء ثلاثة اقوال :

قول بان البعث والجزاء للجسم والروح ، وقول انهما للروح فقط ، وثالث بانفاذ الوعد وعدم انفاذ الوعيد .

القول الاول : وهو الذى تعضده الادلة الكثيرة ان البعث والجزاء واقعان على الروح والجسم معا .

ادلته :

( أ ) يقول السيد المسيح : ( لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون ان يقتلوها بل خافوا بالحرى من الذى يقدر ان يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم )[1] .

فواضح من هذا النص ان الروح والجسد متلازمان فى الثواب والعقاب فى الحياة الاخرة .

(ب) وفى انجيل متى[2] : ( هكذا يكون انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الاشرار من بين الابرار ويطرحونهم فى آتون النار وهناك يكون البكاء وصرير الاسنان ) .

(جـ) ومما اتفق عليه ٣١٣ رجلا من البطارقة والمطارنة والاساقفة النصارى فى محضر ملكهم بقسطنطينية : ( ونؤمن بقيام ابداننا وبالحياة الدائمة ابد الابدين ) قال الشهرستانى بعد رواية هذا عنهم : هذا الاتفاق الاول على هذه الكلمات وفيه اشارة الى حشر الابدان .

والقول الثانى : وهو ان البعث والجزاء للروح وحدها .

قال الشهرستانى : وفى النصارى من قال بحشر الارواح دون الابدان وقال ان عاقبة الاشرار فى القيامة غم وحزن الجهل وعاقبة الاخيار سرور وفرح العلم ، وانكروا ان يكون نكاح واكل وشرب[4] .

يؤيد هذا مافى انجيل متى[5] : ( فاجاب يسوع وقال لهم تضلون

---

( ١ ) انجيل متى الاصحاح العاشر .
( ٢ ) الاصحاح الثالث عشر .
( ٣ ) الملل والنحل للشهرستانى ( ٢ : ٦٤ ) مطبوع على هامش الفصل فى الملل والنحل لابن حزم .
( ٤ ) الملل والنحل للشهرستانى ( ٢ : ٦٤ ) .
( ٥ ) الاصحاح الثانى والعشرون .

اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لانهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء ) .

والقول الثالث عنهم يقول بانفاذ الوعد وعدم انفاذ الوعيد .

قال الشهرستانى : وقال مار اسحاق منهم ان الله تعالى وعد المطيعين وتوعد العاصين ولا يجوز ان يخالف الوعد لانه لا يليق بالكرام لكن يخالف الوعيد فلا يعذب العصاة ويرجع الخلق الى سرور وسعادة وعم هذا فى الكل اذ العقاب الابدى لا يليق بالجواد الحق (١) .

المنكرون للبعث ولكنهم قالوا بالتناسخ .

التناسخ فى اللغة من النسخ ويأتى بمعنى الازالة والتغيير والابطال .

قال فى القاموس : نسخه كمنعه وازاله وغيره وابطله واقام شيئا مقامه ... ، ومافى الخلية حوله الى غيرها (٢) .

فالجسد كالخلية والروح تخرج منه لتتحول الى جسد آخر كالذى حول من الخلية الى غيرها من نحل وعسل .

وهو فى اصطلاح علماء الاديان : اعتقاد قوم رجوع الروح - بعد فراقها للجسد - الى العالم الارضى لتتقمص جسدا آخر .

القائلون بالتناسخ :

( ١ ) الصابئة :

الذين يزعمون انهم اتباع شيث وادريس، ويسمونهما عاذيمون وهرمس (٣) وهم اول من قال بالتناسخ . قال الشهرستانى عنهم : وانما نشأ اصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم (٤) .

( ١ ) الملل والنحل للشهرستانى ( ٢ : ٦٤ ) .
( ٢ ) القاموس المحيط للفيروزابادى ( ١ : ٢٨١ ) ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ( ٥ : ٤٢٤ - ٤٢٥ ) .
( ٣ ) الملل والنحل للشهرستانى تطبوع بهامش الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ( ٢ : ١٥٣ ) .
( ٤ ) نفس المصدر ( ٢ : ١٥٣ ) .

( ٢ ) الهندوسية :

وهى ديانة الهنود الكبرى وكل ماهناك من نحل فهى فى اصلهـــا لا تخرج عن الهندوسية فى خطوطها الرئيسية ومن ذلك اعتقاد التناسخ .

وجهة نظرهم :

يرون انه اذا حدث الموت مات الجسد المادى وتوقف وبلى .

اما الجسد اللطيف فلا يموت بل يخرج ويعمل مدة من الزمن فـــى آفاق الكون اللطيفة التى تشبه حالة احلامنا فيجرىبهناك الجنة والنار الـتى تكلمت عنها الكتب الدينية ثم يعود مسوقا بالميول والاعمال الماضية كـــرة اخرى الى هذه الحياة متقمصا جسدا جديدا وتبدأ بذلك دورة جديـدة لهذه الروح وتكون هذه الدورة نتيجة للدورة الماضية . فتوجد الروح فـــى انسان او حيوان او ثعبان ويسعد او يشقى نتيجة لما قدم من عمل فـــى دورته السابقة ومن لوازم تجوال الروح انها فى عالمها الجديد لا تذكر شيئا عن عالمها السابق فكل دورة منقطعة تماما بالنسبة لعلم الروح عن سواهـا من الدورات (١) .

وسبب اعتقادهم التناسخ امور منها :

( ١ ) اعتقادهم خلود الروح .

( ٢ ) ان الروح خرجت من الجسد ولا تزال لها اهواء وشهوات مرتبطـــة بالعالم المادى لم تتحقق بعد فلا مناص انا من ان تستوفى شهواتها فى حيوانات اخرى فالميل يستلزم الارادة والارادة تستلزم الفعـــل فى هذا الجسد وان لم يصلح هذا ففى جسد غيره فقد خلقـــت الميول لتستوفى واذا لم تستوف لم ينـع الانسان من تكرار المولد .

( ٣ ) اعتقادهم ان الجزاء انما يتم فى الدنيا وان ليس هناك يوم آخـــر يجازى فيه كل انسان على ماعمل .

( ٤ ) ان الروح خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة فى علاقتها بالاخريـن لابد من ادائها فلا مناص اذا من ان تستوفى جزاء اعمالها الـــتى قامت بها فى حياتها السابقة .

---

( ١ ) انظر الملل والنحل للشهرستانى ( ٢ : ١٥٣ ) ، وانظر مقارنة الاديان لاحمد شلبى " اديان الهند الكبرى " ( ص ٦٣ ) .

( ٥ ) اعتقادهم ان النفس في بقائها في الجسم تحيط علما بالجزئيات وان كان علمها بالصورة الكلية ثابتا لها وهي في تنقلها من جسم الى جسم تستفيد من كل جسم علما جديدا بجزئيات لم تكن تعلمها فليس من المعقول ان تحيط بكل الجزئيات علما ببقائها امدا قصيرا في جسم واحد .

لهذا كله كانت الارواح تنتقل في الاجسام متدرجة في الرقي من جسم الى جسم حتى تصل الى الكمال المطلق وتكون في صف الروحانيات المتجردة وهي الملائكة وتكون غير محجوبة عن التصرف في السموات والارض وتدبير الكون (٢) .

النرفانا :

نهاية المطاف في العقيدة الهندوسية - والنرفانا - هو الفناء في الروح الاعظم او الوجود المطلق - وهو في مقام الجنة - في الاديان السماوية.

وطريقة الوصول الى النرفانا هي التناسخ ،فالانسان حينما يموت تنتقل روحه الى جسم حيوان او انسان وتلاقي العذاب الوانا حتى تتطهر بهذا العذاب فتصل في النهاية الى " النرفانا" وتستريح من التناسخ (٢) .

( ٣ ) وقال بالتناسخ جماعة من اليهود :

وفي ذلك يقول التلمود : وبعد موت اليهودي تخرج روحه وتشغل جسما آخر فاذا مات احد الجدود مثلا تخرج روحه وتشغل اجسام نسله الحديثي الولادة (٣) .

وفي التلمود ايضا : ( اما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا فان ارواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات او النباتات ثم تذهب الى الجحيم وتعذب عذابا اليما مدة اثني عشر شهرا ثم تعود ثانيا وتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين ثم ترجع الى جسد اليهود بعد تطهيرها ) (٤) .

---

( ١ ) انظر مقارنة الاديان لاحمد شلبي (ص٦٣ - ٦٥ ) ومقارنات الديانات القديمة لابي زهرة (ص ٤٤ - ٤٥ ) .
( ٢ ) انظر مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب (ص ٢٧ ) .
( ٣ ) الكنز المرصود في قواعد التلمود (ص٦٠ ) ترجمة الدكتور حنا نصر الله ط/ الثالثة بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .
( ٤ ) نفس المصدر (ص ٦١ ) .

( ٤ ) ومن قال بالتناسخ المانوية ، وكان مانى نفى من ايران شهر فدخل ارض الهند ونقل التناسخ منهم الى نحلته[١] .

( ٥ ) ومن قال بالتناسخ ايضا جماعة من الفلاسفة منهم فيثا غورس .. وافلاطون .

قال العقاد عن فيثا غورس : وكان مذهبه نسخة يونانية من الديانة الهندية فهو يقول بتناسخ الارواح .. ، وهو يوصى بالحيوان ويحرم اكل لحمه ويعتقد ان جسد الحيوان قد يشتمل على روح انسان يتطهر بالتناسخ حتى يكفر عن آثامه فيلحق بالرفيق الاعلى وتعفى روحه من عقوبة الرجعة الى الاجساد[٢] .

وقد رجع افلاطون الى فيثا غورس فى القول بتناسخ الارواح وتجدد الاجال حسب الحسنات والسيئات[٣] .

المنكرون للبعث والتناسخ :

( ١ ) من اليهود فرقتان انكرتا البعث واليوم الاخر :

( أ ) السامرية : قال ابن حزم : لا يقرون بالبعث البتة[٤] .

(ب) الصدوقيون : وهم لا يؤمنون بالبعث ولا باليوم الاخر ويعتقدون ان عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان فى الدنيا[٥] .

والفرق بين هؤلاء وبين الدهرية ان الدهرية ينكرون ايضا مبدأ الجزاء اما هؤلاء فيقرون به ولكن يرون انه فى الدنيا لا فى الاخرة .

( ٢ ) الدهرية : القائلون ماهى الا ارحام تدفع وارض تبلع وما يهلكنا

---

( ١ ) كتاب تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة (ص ٤١ ) لابى الريحان محمد بن احمد البيرونى ط/الهند ، ١٣٧٧هـ .

( ٢ ) الله ، للعقاد (ص ١٢٤ ) .

( ٣ ) نفس المصدر (ص ١٣٦ ) .

( ٤ ) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ( ١ : ٩٩ ) ، والملل والنحل للشهرستانى ( ٢ : ٥٨ ) .

( ٥ ) الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة للاسلام (ص ٥٦ ) للدكتور عبد الواحد وافى .

الدهر، فقد ذهبوا الى انه لا حياة للانسان بعد هذه الحياة وانه لا يختلف عن النباتات الارضية تنبت في الربيع مثلا وتيبس في الصيف ثم تعود ترابا والسعيد من يستوفي في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الرأى الفاسد اطلقوا انفسهم من قيد التأثم ودفعوها الى انواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض واتباع للهوى، وصدق الله اذ يقول : " بل يريد الانسان ليفجر امامه "[1]. فهذا هو السبب الوحيد في انكارهم البعث والجزاء .

ومن اعلام الدهريين:

( أ ) ابيقور: ظهر في بلاد اليونان وهو من الحكماء وانكر الالوهية هو واتباعه[2] .

(ب) مزدك : ظهر في بلاد الفرس في عهد الملك قباذ وقال ان الشريعة النيشرية - يعني الطبيعة - المقدسة لم تنسخ حتى الان وقد بقيت مصونة في حرزها عند الحيوانات والبهائم[3] .

(جـ) سارتر : الذى ينظر الى الموت على انه نهاية الانسان لا حياة له بعده[4].

---

( ١ ) سورة القيامة : ٥

( ٢ ) الرد على الدهريين (ص ٥٠ ) جمال الدين الافغاني .

( ٣ ) نفس المصدر (ص ٥٣ ) .

( ٤ ) الله والانسان لعبد الكريم الخطيب (ص ٢١١ ) ط/الثانية .

## دراسة الآيات على ترتيب نزولهـــا

( ١٧ )

## سورة المزمل

### النص القرآني .

قال تعالى : " انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه اخذا وبيلا ، فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ، السماء منفطر به كان وعده مفعولا ، ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان اول مانزل سورة (اقرأ) ثم (ن) ، ثم (المزمل) (١) .

والذى نزل منها فى هذا الوقت هو قوله تعالى : " انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم " ... الى قوله تعالى : " فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا " .

لان هذه الايات هى التى تصلح ان تكون النازلة فى هذا الوقت فكل آيات السورة غير هذه الايات قد ورد فيها نص يعين وقت نزولها وانها نزلت فى غير هذا الوقت . فاول السورة ورد فيه عن عائشة رضى الله عنها قالت فى حديث طويل وفيه : فان الله افترض قيام الليل فى اول هذه السورة فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله فى آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة . . الحديث (٢)

وعن ابن عباس وقتادة ان الايتين منها " واصبر على مايقولون " والتى تليها ليستا مما نزل بمكة (٣) .

---

( ١ ) انظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ( ١ : ١٠ ) ط/الثالثة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م مصطفى البابى الحلبى .
( ٢ ) اخرجه مسلم فى صحيحه ( ٦ : ٢٦ ) .
( ٣ ) روح المعانى للالوسى ( ٢٩ : ١٠٠ ) .

وعن عائشة قالت لما نزلت " وذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا " لم يكن الا قليل حتى كانت وقعة بدر .(١)

لذا قلنا ان النازل فى هذا الوقت من سورة المزمل هو قوله تعالى " انا ارسلنا اليكم رسولا " .... الى قوله " فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا " .

بيان النص .

قوله ( انا ) اى اننا فاكد الخبر لكونهم قالوا عندما نزل ( اقرأ ) انه مجنون فرد الله عليهم ذلك لكن هل اقتنعوا ؟

الظاهر انهم بقوا على شكهم فى الجملة فاقتضى ذلك التأكيد فى الاخبار بانه ارسل اليهم رسولا شاهدا عليهم ، وزاد التأكيد باسناده لضمير المتكلم المعظم نفسه ( انا ) .

( ارسلنا ) واتى بصيغة الخطاب لهم لان فيه مواجهة لهم ( اليكم ) .

واتى بالرسول نكرة ( رسولا ) فترك التعيين لدراستهم لما قالوا انه مجنون حتى يعلموا اهو مجنون ام فى قمة العقل والخلق وهل هو صالح لان يكون رسولا ام لا .

ووصفه بكونه ( شاهدا ) عليهم لان صحة الشهادة تعتمد على العدالة والحفظ والضبط لما يشاهد . وهذه اول المؤهلات للرسالة وقال ( عليكم ) لينبههم انه آت بالرسالة ليلزمهم بالايمان به ويكلفهم من عند الله باوامره ونواهيه وشرائعه فليس الامر اذا امر اختيار بل هو الزام يعقبه شهادة عليهم بالتكليف والتبليغ والاتباع فهل هم فاعلون ؟

ولما كان ارسال رسول لهم يشهد عليهم بما هم عليه من اتباع وكفر ليس بدعا وانما هو شأن من شئون الله تعالى فى القديم آتى لهم بالاعتبار برسول فرعون وكان العرب يتاجرون مع اليهود بالشام وباليمن وفى طريقهما فكانوا مختلطين بهم اشد اختلاط يعلمون منهم قصة موسى مع فرعون فى الجملة بقطع النظر عن التفصيل .

---

( ١ ) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، طبقة الميمنية بمصر ١٣١٤هـ .

فى السورة اول وعيد - اجمالى - باليوم الاخر ومافيه من بعث وجزاء .

( ١ ) ان هذا اليوم من هوله يجعل الولدان شيبا ، والسماء منفطر به .

( ٢ ) جعله تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا .

فهو وعيد اجمالى يعرضون له ان كفروا ، فكيف يتقونه ؟

* * *

## سورة التكوير

### النص القرآني .

قال تعالى : " اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت ، واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت ، واذا الصحف نشرت ، واذا السماء كشطت ، واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول انها نزلت بعد الانذار باول المدثر وبعد الفاتحة وتبت .

### تصوير المواقف .

بعد نزول قوله تعالى " وانذر عشيرتك الاقربين " وبعد جمعه صلى الله عليه وسلم لقريش وقوله لهم[1] " فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد " ، وقول ابى لهب له تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا ؟ ونزول سورة (تبت) وفيها وعيد لابى لهب وزوجه خاصة فى هذه الفترة ، نزلت سورة التكوير لتفصل بعض التفصيل مايكون بعد البعث فى الدار الاخرة .

### بيان النص .

بين تعالى فى هذا النص كيف تنتهى الدنيا وكيف تبتدىء الاخرة . فذكر ست علامات فى هدم الدنيا وست علامات تبدأ بها الاخرة[2] .

---

(١) الحديث اخرجه البخارى فى الجامع الصحيح ( ٣ : ١٧٠ ) طبع دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى .

(٢) قال السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ( ٦ : ٣١٨ ) : واخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابى العالية رضى الله عنه قال ست آيات من هذه السورة فى الدنيا والناس ينظرون اليه وست فى الاخرة ـ اذا الشمس كورت ـ الى واذا البحار سجرت هذه فى الدنيا والناس ينظرون اليه ـ واذا النفوس زوجت =

فعلامات هدم الدنيا هي :

( ١ ) (اذا الشمس كورت) اى لفت اشعتها وانطفأ لهبها فصارت كـــرة جامدة مظلمة[1] .

( ٢ ) (واذا النجوم انكدرت) اى تناثرت وتساقطت كقوله تعالى : " واذا الكواكب انتثرت"[2] .

( ٣ ) (واذا الجبال سيرت) اى ازيلت عن اماكنها .

( ٤ ) (واذا العشار عطلت) وهى النوق الحوامل التى مضى لحملها عشرة اشهر وتعطيلها تركها بلا راع او مصلح .

( ٥ ) (واذا الوحوش حشرت) اى جمعت .

( ٦ ) (واذا البحار سجرت) اى اشعلت واججت بما شاء الله ان يشعلها بـــه .

اما علامات ابتداء الاخرة فهى :

( ١ ) (واذا النفوس زوجت) اى قرنت بالابدان .

( ٢ ) (واذا الموءودة سئلت) اى عن سبب قتلها وفى توجيه السؤال لها تبكيت لقاتليها .

---

= واذا الجنة ازلفت هذه فى الاخرة . قال واخرج ابن ابى الدنيا فى الاهوال وابن جرير وابن ابى حاتم عن ابى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش فماجوا بعضهم فى بعض ـ واذا الوحوش حشرت ـ قال اختلطت ـ واذا العشار عطلت ـ اهملها اهلها ـ واذا البحار سجرت ـ قال الجن والانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هى نار تأجج فبينما هم كذلك اذ انصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة والى السماء السابعة فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم .

( ١ ) ورد عن علماء التفسير المتقدمين تفسيرها بعبارات تفيد هذا المعنى فمثلا عن ابن عباس رضى الله عنه قال : ( واذا الشمس كورت ) يعنى اضمحلت وذهبت ، وقال الضحاك وقتادة : ذهب ضوءها ، انظر تفسير بن كثير ( ٥ : ٢٢٠ ) .

( ٢ ) سورة الانفطار : ٢

( ٣ ) (واذا الصحف نشرت) اى صحف الاعمال ونشرها فتحها بعد ان كانت مطوية على مافيها من حسنات وسيئات او نشرت بمعنى فرقت على اصحابها .

( ٤ ) (واذا السماء كشطت) والمراد نزعها ثم طيها .

( ٥ ) (واذا الجحيم سعرت) اى اوقد تواهميت .

( ٦ ) (واذا الجنة ازلفت) اى قربت وادنيت لاصحابها فاذا حصلت كل هذه الظروف ( علمت نفس ما احضرت) .

ولما كان اذا ظرف فيه معنى الشرط جاء الجواب بقوله ( علمت نفس) والمراد كل نفس بقرنية المقام ( ما احضرت) لنفسها من خير او شر او المراد ماتذكرته من اعمالها فى الدنيا كأنه حاضر ومشاهد فكأنها بتذكرها له قد احضرته .

واسند الاحضار لها لانها سبب فيه بعملها فى الدنيا فاستحقت عليه الجزاء فى الاخرة .

ومن هذا البيان يعلم كيف يكون انتهاء هذه الدار وابتداء الدار الاخرة وبعض ماسيكون فيها من جزاء بعد البعث .

* * *

## سورة الليـــل

### النص القرآنى .

قال تعالى : " فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة " الليل " نزلت بعد ســـــورة سبح اسم ربك الاعلى وفيها ( قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بـــل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفى الصحف الاولـــى صحف ابراهيم وموسى ) .

فبين فيها ان هذه الحياة الدنيا غير منها الحياة الاخرة فلا ينبغى التعلق بها وترك الاخرة . وهذا امر مقرر فى الكتب السابقة صحف ابراهـــم وموســـى .

وفى هذا تنبيه على وجوب الاهتمام بالاخرة اكثر من الدنيا .

نبههم فى المنزل على الوعيد اجمالا ، ثم انذرهم الرسول بعـــد ان جمعهم وقال لهم انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، ثـم اوعـــد ابا لهب انه سيصلى نارا ذات لهب ثم فصله فى التكوير فى الامور الاثـــنى عشـــر .

### بيان النص .

قوله (فانذرتكم نارا تلظى ) اصله تتلظى فحذفت احدى التائـــين تخفيفا ، والفاء للترتيب رتب الله بها اخبار المخاطبين بالانذار بعـــد ان ذكر لهم طريقى اليسر والعسر وان عليه الهدى يبينه لهم وان مرجعهـــم اليه يحاسبهم على مايفعلونه مما يوجب يسرا او عسرا فالانذار هو التخويف بشر المعاقبة وهى دخول نار تلظى (لا يصلاها الا الاشقى ) واخبر انـــه لا يصلى هذه النار الا الاشقى الذى بلغ فى الشقاء مبلغا فات فيه غـــيره والمراد لا يصلاها صليا لازما على جهة الخلود الا الاشقى وهو الكافـــر

بدليل وصفه بقوله ( الذى كذب وتولى ) اى كذب بما يجب ان يؤمن بـــه من آيات ورسل وكتب ومعجزات دالة على وجود الله وتكليفه لعباده وبعثهـم للجـــزاء .

ثم اخبر عن حال الاتقى بقوله ( وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى مالـــه يتزكى ومالاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى ) اى ان الاشد تقى للوعيد والانذار هو الذى يحرص على ان يخرج مالـــــه يتزكى به ارضاء لربه لا فى مقابل نعمة اسداها له احد فيجازيه عليها ولكـــن ابتغاء وجه ربه الاعلى وانه فوق كونه يجنب النار يكافأة يرضى بها فهـــذا تبشير من الله للاتقى بهاتين البشارتين ويكون ذلك بعد البعث .

والمراد بالاتقى الكامل فى التقوى فلا ينافى دخول العصاة مـــن المسلمين النار دخولا غير لازم .

* * *

## سورة الفجـــر

النص القرآني .

قال تعالى : "كلا اذا دكت الارض دكا دكا ، وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ، يقول ياليتنى قدمت لحياتى ، فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد ، يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الفجر نزلت بعد سورة (الليل) .

تصوير الموقف .

بعد ان اقسم بما اقسم به ليؤكد صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى انذاره فى الدنيا والاخرة وذكر امثلة للاعتبار بها - عاد وثمود وفرعون - وذكر ان الله ليس غافلا عن خلقه الذين وعدهم ، وطبيعة الانسان ازاء خالقه ، وتصحيح موقفه .

ثم جاء بتفصيل الوعيد والوعد فى الاخرة .

بيان النص .

قوله ( اذا دكت الارض دكا دكا ) وذلك يوم القيامة حين تزلزل الارض وتسوى مرة بعد اخرى حتى تصير مستوية لا جبال فيها ، والتكرير فى قوله (دكا دكا) للاستيعاب اى دكا بعد دك حتى تستوى وتزول قممها فهى نظير الحال فى قولك علمته الحساب بابا بابا وليس الثانى تأكيدا للاول .

قوله (وجاء ربك) مجيئا يليق بجلال الله وقدرته وعظمته .

(والملك) (ال) فيه للاستغراق فيشمل جميع الملائكة .

(صفا صفا) اى مصطفين او ذوى صفوف محيطين باهل الموقف .

(وجيء يومئذ بجهنم) ، روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها "(١) .

( يومئذ يتذكر الانسان ) اى الكافر بدليل قوله فيما يأتى ( وانى له الذكرى ) والذى يتذكره هو عمله فى حياته الدنيا ، والتنوين فى ( يومئذ ) بدل من جملة اى يومئذ يكون دك الارض يتذكر الانسان ( وانى له الذكرى ) اى النافعة ، وانما خصصنا الذكرى بالنافعة ، لانها فى مقابلة الذكرى الضارة المثبتة له .

( يقول ياليتنى قدمت لحياتى ) استئناف بيانى وقع جوابا لسؤال نشأ عن الاول كأنه قيل ماذا تكون عاقبة الذكرى يوم يجىء ربك والملك صفا صفا وتجىء جهنم ، ويتذكر الانسان ماعمل .

( فيومئذ لا يعذب عذابه ) اى الله ( احد ) اى لا يعذب احد مثل عذاب الله الكافرين فعذابه شديد لكن لا ظلم ولا حيف فيه .

( ولا يوثق وثاقه احد ) اى ولا احد يوثق مثل وثاق الله .

( يا ايتها النفس المطمئنة ) هى الساكنة الثابتة على الحق التى لا يعتريها اضطراب .

( ارجعى الى ربك ) اى يقال لها فى ذلك اليوم ( ارجعى الى ربك ) .

( راضية ) اى حالة كونك راضية بتكريم الله وجزائه ، ( مرضية ) من الله تعالى اى جامعة بين رضاها ورضى الله عنها .

( فادخلى فى عبادى ) اى فى جملتهم لان عباد الله فى ذلك اليوم من قاموا فى الدنيا باوامر الله ونواهيه وشرائعه فاستحقوا ان يكونوا ( عبادى ) فدخوله فيهم دليل على انه حاز الرضى الاتم ، لذلك رتبه على قوله ( راضية مرضية ) .

( وادخلى جنتى ) لانها المكان الخاص بعباده فى ذلك اليوم .

من كل ذلك نأخذ الجزاء المحقق للكافرين والمؤمنين بعد قيام الناس من قبورهم احياء يوم القيامة ، وفيه النص على العذاب والوثاق الجسمانى .

---

(١) اخرجه مسلم فى صحيحه ( ١٧ : ١٧٩ ) من الصحيح مع شرحه للنووى طبع المطبعة المصرية ومكتبتها عام ١٣٤٩ هـ .

## سورة العاديات

النص القرآني .

قال تعالى : " افلا يعلم اذا بعثر مافي القبور، وحصل مافي الصدور، ان ربهم بهم يومئذ لخبير" .

متى ولم نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة العاديات نزلت بعد سورة العصر .

الا ان هناك رواية عن ابن عباس تقول : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فاشهرت شهرا[1] لا يأتيه منها خبر فنزلت (والعاديات ضبحا ) .

قال ابن حجر الهيثمي رواه البزار وفيه حفص بن جميع وهو ضعيف.[2]

وعلى القول بمفاد هذه الرواية تكون السورة مدنية اذان الجهاد لم يفرض بمكة، ولكنها رواية ضعيفة لضعف حفص بن جميع فلا تنهض لمعارضة روايات ترتيب النزول التي تذكر ان سورة (العاديات) من اوائل مانزل بمكة .

بيان النص .

قوله (افلا يعلم اذا بعثر مافي القبور) الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام . اى ايفعل مايفعل فلا يعلم مايكون من جزاء اذا بعثر مافي القبور .

(وحصل مافي الصدور) اى ميز مافيها من خير وشر واظهر في ذلك اليوم .

(ان ربهم) اى المبعوثين (بهم) اى بذواتهم وصفاتهم واحوالهم

---

(١) اى اتى عليهم شهر لم يرجعوا ، انظر لسان العرب لابن منظور (٤ : ٤٣٣) .

(٢) ابن حجر الهيثمي - نور الدين علي بن ابي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧ : ١٤٢) ط/الثانية ١٩٦٧م نشر دار الكتاب، بيروت .

واعمالهـــم .

( يومئذ ) اى يومئذ يحصل ماعد من بعثرة القبور وتحصيل مافـــــى الصدور (لخبير) اى بخفايا اعمالهم التى يحاسبهم عليها .

فى النص اثبات للبعث وانه جسمانى اذ ان مافى القبور هـــــــــى الاجساد ،والا لما كان للتنصيص على بعثرة مافى القبور فائدة .

وسيأتى من الادلة مايؤيد هذا ان شاء الله .

* * *

## سورة عبس

### النص القرآني .

( ١ ) قال تعالى : " قتل الانسان ما اكفره من اى شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ، ثم اماته فاقبره ، ثم اذا شاء انشره " .

( ٢ ) " فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه ، وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، اولئك هم الكفرة الفجرة " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول نزول سورة عبس بمكة بعد سورة النجم .

### بيان النص .

( قتل الانسان ما اكفره ) اى لعن الانسان الكافر ما اشد كفره وقيل عذب ، والمراد التعجب من افراط كفره (١) . عن عكرمة قال : نزلت في عتبة بن ابي لهب حين قال : كفرت برب النجم اذا هوى فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فاخذه الاسد بطريق الشام (٢) .

( من اى شيء خلقه ) اى من اى شيء خلق الله هذا الانسان .

ثم فسره فقال ( من نطفة خلقه ) وهى الماء المهين .

( فقدره ) اى فسواه وهيأه لمصالح نفسه او قدره اطوارا .

( ثم السبيل يسره ) اى يسر له الخروج من بطن امه (٣) .

( ثم اماته فاقبره ) اى جعل له مكانا يقبر فيه (٤) .

---

( ١ ) انظر فتح القدير ( ٥ : ٣٨٤ ) لمحمد بن على الشوكاني ط/ الثانية ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م مصطفى البابي الحلبي .

( ٢ ) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ( ٦ : ٣١٥ ) .

( ٣ ) قال الشوكاني في فتح القدير ( ٥ : ٣٨٤ ) ان هذا قول السدى ومقاتل وعطاء وقتادة ـ في الاية .

( ٤ ) قال الراغب في المفردات في غريب القرآن ( ص ٣٩٠ ) : واقبرته جعلت له مكانا يقبر فيه نحو اسقيته جعلت له ما يسقى منه قال ( ثم اماته فاقبره ) قيل معناه الهم كيف يقبر .

(ثم اذا شاء انشره ) اى ثم اذا شاء انشاره انشره اى احياه بعد موته .

فى الاية الاولى قوله تعالى (ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ) وجاء هذا بعد اقامته لدليل خلقه على وجود خالقه ومدبره فى قوله (من اى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ) ومن خلقه من النطفة وقدره انسانا سويا فى رحم امه ثم يسر له الخروج منه لهذه الحياة التى اعدت له اعدادا خاصا فاعطاه فيها مايكفل بقاءه وبقاء نوعه ، اما بقاؤه فاعطاه المقومات التى يحتاج اليها ، واما بقاء نوعه فجعله ذكرا وانثى وخلق منه الذرية كما كان هو من ذرية سابقة .

كل هذا يدل على انه مدبر من قادر مريد قدر على ايجاده وتحويله من النطفة الى ان صار انسانا سويا .

فهل اذا اماته واقبره وصار ترابا ورفاتا لا يقدر ان يأتى به مرة ثانية اذا اراد ؟ هذا دليل الامكان .

فنشره بعد ان اماته لا يكون اعصى عليه من خلقه من النطفة اولا .

وكأنه قال : الله خلق الانسان من نطفة ، وقدر خلقه ويسر سبيله الى هذه الحياة وكل من كان كذلك كان قادرا على احيائه بعد موته اذا اراد .

فالله قادر على احياء الانسان بعد موته اذا اراد .

اما الايات الثانية فيقول فيها : (فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة) .

وهذه الايات تثبت وقوع النشر بعد الموت .

فالصاخة المراد بها النفخة الثانية تصخ آذان الموتى فتبعثهم .

فى هذا اليوم يجد الناس من الهول مايجدون فيفر كل امرىء منهم من اقرب الناس اليه فالاخ يفر من اخيه والابن يفر من ابيه وامه والاب يفر من اولاده والام منه والزوج يفر من صاحبته اذ الكل فى شأن يغنيه ويكفيه فلا يريد زيادة على ماهو فيه .

هناك تعرض الاعمال فمن كانت اعماله صالحة منجية يشرق وجهه ويتهلل ويضحك ويستبشر ، ومن كانت اعماله طالحة يغتم ويسود وجهه وتعلوه الكآبة من سوء المنقلب ، وكل ذلك اخبر الله به بعد ان بصرهم بدليل اخراج طعامهم من الارض في قوله تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقصبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم) . فالطعام هو مايتغذى به الانسان فيتحول الى الخلايا المفقودة منه فتصنع منه جميع اجزاء الجسم وتتكون منه جميع خلاياه .

كونه من هذه الارض الميتة التي انزل عليها الماء من السماء فانشقت ارض بالنبات على جميع اشكاله وانواعه وتحولت العناصر الميتة الى حياة نباتية ثم لما تغذى بها الانسان تحولت الخلايا التي تكونت من النبات الى خلايا حيوانية صالحة لبقاء الانسان .

فاذا جاء يوم القيامة الا يقدر الله ان يكون الانسان من هذه العناصر مرة ثانية وهل اذا كونه يرد فيه روحه مرة ثانية ؟

الجواب : نعم ( فاذا جاءت الصاخة) .

في هذا النص دليل امكان البعث من واقع النشأة الاولى والقدرة المطلقة لله تعالى ان البعث للروح والجسد معا اخذا من قوله (ثم اماته فاقبره . ثم اذا شاء انشره ) اى من قبره والمقبور هو الجسد .

وان الجزاء للروح والجسد ايضا لقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة) .

* * *

## سورة القارعـــة

### النص القرآنى .

قال تعالى : " القارعة ، ما القارعة ، وما ادراك ما القارعة ، يوم يكـــون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، فاما من ثقلـــت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية ، ومـــا ادراك ماهيه ، نار حامية " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول نزول سورة القارعة بعد سورة عبس .

### تصوير الموقف .

بين الله تعالى فى سورة عبس امكان البعث ، ووصف بعض ما يقع فى يوم القيامة ولكن داعية الارهاب والتخويف تدعو للمزيد فنزلت سورة القارعة .

### بيان النص .

قوله (القارعة) مبتدأ ومعناها الشىء القارع وانثها لانها وصـــف لموصوف محذوف تقديره الساعة القارعة ، ولما كان المبتدأ محدث عنـــه لا يفيد الاخبار عنه الا بعد العلم به ، اراد ان يعرف بها قبل الحكم عليهـا فقال (ما القارعة) فما اسم الاستفهام مبتدأ وخبره القارعة .

والمعنى اى شىء هى القارعة .

فقوله ( وما ادراك ما القارعة ) ، ( ما ) اسم استفهام مبتـــدأ و(ادراك) خبره اى اى شىء ادراك ، وقوله ( ما القارعة ) يحتمل ان تكون ما اسم استفهام بمعنى اى شىء ، و(القارعة) خبره والمعنى اى شـــىء هو القارعة ويحتمل ان تكون اسم موصول والقارعة خبر لمبتدأ محذوف صلـــة لما . والمعنى ما ادراك الشىء الذى هو القارعة .

ومعناها بالاستفهام الاول ( ما القارعة ) والاستفهام الثانـــى (ما ادراك ما القارعة) هى شىء لا يعلم ولا يدرى اذ هو مهول فكأنـــه القارعة المهولة المفزعة التى لا يتصور هولها ولا يدرى مبلغ فزعها والخـــبر

هو ( يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ) اى القارعة المهولة هذه كائنة ( يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ) اى فى يومها يتفرق الناس بعضهم عن بعض فيكونون فى تفرقهم كالفراش المتفرق بعضه عن بعض .

( وتكون الجبال كالعهن المنفوش ) اى كالصوف المنفوش بعد ان ينسفها الله ويزلزلها فتكون كالصوف المنفوش .

فى هذا اليوم توزن الاعمال ( فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ) اى من رجحت كفة حسناته فى عيشة مرضية فى الجنة .(١)

( واما من خفت موازينه ) بان طاشت كفة حسناته لكثرة السيئات فى الكفة الاخرى الخاصة بها .

( فامه هاوية ) اى مأواه ومرجعه النار العميقة وسميت اما لانها مأواه كالام يأوى اليها ولدها .

---

( ١ ) اخرج الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة فيوضع ما احصى عليه فيتمايل به الميزان قال فيبعث به الى النار قال : فاذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول : لا تعجلوا لا تعجلوا فانه قد بقى له فيؤتى ببطاقة فيها لا اله الا الله فتوضع مع الرجل فى كفة حتى يميل به الميزان ) . انتهى من مسند الامام احمد بترتيب الساعاتى ( ٢٤ : ١٤٥ ) .
قال ابو بكر الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ١٠ : ٨٢ ) قلت : رواه الترمذى باختصار ورواه احمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح .
والحديث عند الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص من غير طريق ابن لهيعة . قال الترمذى : حدثنا سويد بن نصر اخبرنا بن المبارك عن ليث بن سعد حدثنى عامر بن يحيى عن ابى عبد الرحمن المعافرى ثم الحلبى قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله سيخلص رجلا من امتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتى الحافظون ؟ يقول لا يارب فيقول الك عذر ؟ فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة ماهذه السجلات؟ فقال فانك لا تظلم قال : فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات =

(وما ادراك ماهيه ) اى اى شيء اعلمك ماهى هذه الهاوية اى لا تدرى مقدار حرها ولا صنوف عذابها هى (نار حامية) لا طاقة لاحد بالصبر على حرارتها ومقاساة عذابها .

فانت ذا ترى ان هذه السورة هولت شأن القيامة ومايقع فى يومها وماهو القصد من ميزان الاعمال ، ونتائجه .

وذلك لردع الذين وقفوا فى سبيل الدعوة حينئذ .

* * *

---

= وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء ) هذا حديث حسن غريب من جامع الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى (٧ : ٣٩٥ - ٣٩٦) .

## سـورة القيامـة

### النص القرآني .

( ١ ) "لا اقسم بيوم القيامة ، ولا اقسم بالنفس اللوامة ، ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه ، بل يريد الانسان ليفجر امامه ، يسئل ايان يوم القيامة فاذا برق البصر ، وخسف القمر وجمع الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ اين المفر ، كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر" .

( ٢ ) "كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الاخرة ، وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة ، تظن ان يفعل بها فاقرة ، كلا اذا بلغت التراقي ، وقيل من راق وظن انه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، الى ربك يومئذ المساق ، فلا صدق ولا صلى ، ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى ، اولى لك فاولى ، ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى ، الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ، اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى" .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول نزول سورة القيامة بعد سورة القارعة .

### تصوير الموقف .

بعد ان هول شأن القيامة وما يحدث في ذلك اليوم من ميزان الاعمال ونتائجه فصل بعض التفصيل في سورة القيامة .

### بيان النص .

قوله (لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة) "لا" صلة لتوكيد القسم في الموضعين وزيادتها معروفة من كلام العرب .

اقسم الله بامرين اولهما (يوم القيامة) وثانيهما ( النفس اللوامة ) واكد القسم بكلمة (لا ) كما هو شأن القرآن في مواضع كثيرة .

اما المقسم عليه فيدل عليه السياق فى قوله (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ) .

فالمقسم عليه تقديره لنجمعن عظامكم ولنبعثنكم بعد موتكم .

والدليل عليه هو ثبوت يوم القيامة وثبوت المؤمنين بها الذين يلومون انفسهم على مافرطوا فى اوامر الله ونواهيه وشرائعه .

فقوله (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ) فيه انكار لظنه انه لن تجمع عظامه ويحيى اذ الهمزة للانكار بمعنى النهى بمعنى انه لا يصح ان يكون هذا الحسبان .

ولما كان ذلك دلالة على طلب النفى اجاب بقوله (بلى ) اى تجمع عظامه على خلاف ماظن فقوله (بلى ) راجع لنفى حسبانه اى ماحسبته من عدم احياء العظام باطل فلا تتماد فيه .

(قادرين على ان نسوى بنانه ) اى نجمع عظامه حالة كوننا قادرين تسوية بنانه وهى ادق شىء فى العظام .

اما قوله (بل يريد الانسان ليفجر امامه ) فهو اضراب عن حسبانه الى حقيقة امره وهى ارادته ان ينفلت من المسئولية الجزائية لينطلق مع اهوائه وشهواته فكأن المسئولية محاطة به تمنعه من كثير من اهوائه وهو يريد ان يمضى امامه فى تحصيل اكبر قسط من اهوائه وشهواته فليس له الا ان يشق هذا الذى يحيط به من مانع فيفجره من امامه .

(يسأل ايان يوم القيامة) استبعاد لوجود يوم القيامة الذى تكون فيه مسئوليته فمتى نفى يوم القيامة انتفت المسئولية استباح لنفسه كل مايريد من هوى وشهوة .

الجواب : اذا كنت تريد ان تعرف وقت يوم القيامة استرشاد الاستهزاء فان وقته (اذا برق البصر) اى تحير من هول مارأى .

(وخسف القمر) على خلاف ماهو عليه الان (يقول الانسان يومئذ اين المفر) اى من المسئولية والجزاء (كلا ) ارتدع وانزجر عما انت عليه الان فلابد من البعث ولابد من الجزاء (لا وزر) اى لا ملجأ ( الى ربك يومئذ المستقر) مكان القرار .

(ينبأ الانسان يومئذ بما قدم ) اى قبل موته فعمله فى حياته من

خير او شر (واخر) اى بعد موته من عمل باق خيرا كقوله صلى الله عليه وسلم (اذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله الا من ثلاث، الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له)[1].

او شرا كقوله صلى الله عليه وسلم (ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيئا)[2].

(بل الانسان على نفسه بصيرة)، (بل) اضراب عن انبائه بما قدم واخر الى شهادته على نفسه بكل ما عمل (كلا) انكار لما قبل قوله (لا تحرك به لسانك ... الايات) من ان حسباتكم واراداتكم الخروج من المسئولية واستبعادكم يوم القيامة ليس له موجب الا حبكم العاجلة (بل تحبون العاجلة) لا حامل لكم على انكار يوم القيامة سوى ذلك.

(وتذرون الاخرة) تدعونها فلا تعملون عمل المؤمن بها لانه يتعارض وحب العاجلة واتباع الاهواء والشهوات.

(وجوه يومئذ ناضرة) اى حسنة مسرورة (الى ربها ناظرة) الى خالقها جل وعلا.

(ووجوه يومئذ باسرة) كالحة مغمومة من توقعها مزيدا من العذاب (تظن ان يفعل بها فاقرة) اى تحل بها داهية عظيمة.

(كلا اذا بلغت) اى الروح (التراقى) جمع ترقوة وهى اعالى الصدر اى كان فى النزع الاخير (وقيل من راق) اى من يمنع خروج روحه بالرقية.

(التفت الساق بالساق) اى من شدة مالقى من السكرات عند خروج روحه التفت ساقه بساقه الاخرى.

(الى ربك يومئذ) اى يوم خروج الروح (المساق) مبتدأ مؤخر وهو مصدر ميمى بمعنى السوق.

(فلا صدق) قبل ذلك الوقت (ولا صلى) اى انه لم يفعل خيرا يلاقى به ربه.

(ولكن كذب وتولى) اى اعرض عن دين الله.

---

(١) اخرجه مسلم فى كتاب الوصية من صحيحه (٥ : ٧٣) طبع مكتبة الجمهورية العربية بمصر.

(٢) نفس المصدر (٨ : ٦١).

(ثم ذهب الى اهله يتمطى ) غير مبال بتكذيبه ولا توليته .

(اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ) اى هلاكا لك بعد هلاك ثم هلاكا لك بعد هلاك فكيف تتمطى غير مبال بما يصيبك من هذا الهلاك الذى انذرته جزاء كفرك .

(ايحسب الانسان ان يترك سدى ) الهمزة للانكار اى لا يظن الانسان المنكر للبعث ان يترك سدى اى هملا لايؤمر ولا ينهى لان ذلك ينافى الحكمة ، فلو كان الانسان خلق سدى هملا من غير حساب ولا جزاء على اعماله فى الدنيا لكان خلق من غير حكمة اما لعبا من خالقه او خلقه لا هيا بخلقه او عبثا خلقه او سفها لكن خلقه كذلك باطل فبطل ما ادى اليه وهو خلقه سدى وثبت نقيضه وهو خلقه لحكمة وهى تقتضى ان ينال كل جزاء عمله لكن لم يحاسب فى الدنيا ولم يجاز فيها فكيف يكون الحساب ؟ وكيف يكون الجزاء ؟ ومتى ؟

قال (الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى ) .

ففى هذه الايات جواب تلك الاسئلة ، اى اذا لم يكن فى الدنيا سيكون فى دار اخرى بعد الموت وبعد البعث والدليل على بعثه خلقه من نطفة ـ فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ـ ان القادر على ذلك قادر على ان يحييه بعد موته

فلو لم يكن قادرا على احيائه بعد الموت ما قدر على انشائه من النطفة التى هى منى يمنى ثم كونه علقة فخلقه فسواه وجعل منه زوجين ذكرا وانثى لكن كونه قادرا على ذلك ثابت بالمشاهدة فبطل التالى فبطل المقدم فثبت نقيضه وهو المطلوب .

اورد المتكلمون شبها على قدرة الله على البعث سيبطلها القرآن فيما بعد وسننبه عليها فى موضعها ان شاء الله .

ومن هنا ردت السورة على حسبانهم عدم جمع العظام .

واثبتت الداعى الى حسبانهم فى امرين :

الاول : ارادة الفجور . الثانى : حب العاجلة .

ثم اثبتت الوقوع وما يترتب عليه من الجزاء ، وبينت الحكمة ودليل الامكان .

* * *

## سورة المرسلات

### النص القرآني .

قال تعالى : " والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا ، فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا ، انما توعدون لواقع ، فاذا النجوم طمست ، واذا السماء فرجت ، واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت ، لاى يوم اجلت ، ليوم الفصل ، وما ادراك مايوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين ، كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون ، ويل يومئذ للمكذبين ، الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا ، وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراتا ، ويل يومئذ للمكذبين ، انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون ، انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر ، ويل يومئذ للمكذبين ، هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ، فان كان لكم كيد فكيدون ، ويل يومئذ للمكذبين ، ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، انا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ، ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين ، فبأى حديث بعده يؤمنون " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان نزول سورة المرسلات بعد سورة الهمزة .

### بيان النص .

قوله (والمرسلات) اى الجماعات المرسلات يعنى من الملائكة والانبياء كما قال تعالى (يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) .

(عرفا) اى معروفا اى والمرسلات ارسالا معروفا .

(فالعاصفات عصفا ) العصف بالشيء ابادته وتحطيمه (فالعصفات) هنا وصف مترتب على الارسال بالفاء لان الهدى الالهى اذا ارسلت به الرسل يعصف بالباطل واهله فيبيده من المجتمعات التى انتشر فيها والملائكة تعصف بالباطل والمبطلين اذا لم يقبلوا الحق كما فعلت لثمود وعاد وقوم لوط، والانبياء ثم اتباعهم من بعدهم يعصفون بالباطل واهله بالدعوة وبالجهاد كما حصل من داود عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة .

(والناشرات نشرا ) معطوف على المرسلات والذى تنشره هو ما ارسل به المرسلون .

(فالفارقات) بما ارسلوا به بين الحق والباطل (فرقا ) تأكيد لقوله (فالفارقات) .

(فالملقيات) بين الناس (ذكرا ) اى قرآنا يتذكرون به الاوامر والنواهى والتشريعات (عذرا ) للمحقين (او نذرا ) للمبطلين .

ثم ذكر المقسم عليه فقال (ان ماتوعدون ) ، (ما ) موصولا اسميا اى الذى توعدونه او مصدرية اى ان وعدكم لواقع والوعد يشمل الوعيد الدنيوى والاخروى ويشمل وعد المؤمنين ووعيد الكافرين .

(فاذا النجوم طمست) الفاء لتفصيل مايقع وقت الوعيد وكيفيته وطمسها ذهاب ضوئها .

(واذا السماء فرجت) اى شقت (واذا الجبال نسفت) اى زال مابينها من تماسك فصارت فتاتا (واذا الرسل اقتت) اصلها وقتت فابدلت الواو همزة والمعنى ضرب لها وقت لاداء الشهادة على الامم (لاى يوم اجلت ) اى ليوم مهول يقع الناس جميعا فى هول مايؤخذون به ثم بينه بقوله (ليوم الفصل ) اى ليوم القضاء .

(وما ادراك مايوم الفصل ) اى وما اعلمك ماهو يوم الفصل انه فوق ادراك البشر .

(ويل يومئذ للمكذبين ) الويل الحزن والهلاك والتنوين فى (يومئذ ) بدل من جملة اى ويل يومئذ طمست النجوم وشقت السماء كائن للمكذبين .

(الم نهلك الاولين ) استفهام تقريرى لان الهمزة للانكار ولم للنفى

ونفى النفى تقرير، والمعنى قد اهلكنا الاولين لاجل عدم ايمانهم وتصديقهم بالوعد والوعيد .

(ثم نتبعهم الاخرين ) ان لم يؤمنوا بالرسل .

(كذلك نفعل بالمجرمين ) تنبيه على اتحاد علة الاهلاك فى الاولين والاخرين ومتى ارتبط الحكم بعلة اطرد مع وجود العلة فهم ان لم يعتبروا لحقهم الهلاك كما لحق الاولين من الامم قبلهم .

(ويل يومئذ ) اى هلاك يومئذ تتحقق هذه الامور كائن (للمكذبين ) الذين كذبوا الرسل فيما اتوا به من عند الله .

(الم نخلقكم من ماء مهين ) اى ذى مهنة يؤديها حسب نظام دقيق محكم والمراد بالماء هو النطفة الحاملة للحيوانات المنوية .

(فجعلناه فى قرار مكين ) اى مكان حصين لا يصل اليه ما يؤثر على تطور الجنين فيه وهو الرحم فقد جعله الله على كيفية تناسب الجنين فى جميع اطواره وتفى بجميع حاجاته .

(الى قدر معلوم ) وهو وقت الولادة (فقدرنا فنعم القادرون ) ، اى فقدرنا على تكوين الجنين فى هذا المكان الحصين الى القدر الذى يتم فيه تكوينه ثم قدرنا له الاخراج من هذا المكان الى عالم الدنيا ، الا يدل ذلك على قدرتنا الفائقة وحكمتنا الباهرة اذا فالانسان لم يخلق لعبا ولا سفها بل لحكمة تقضى بان يكون هناك يوم للجزاء على الاعمال يتحقق فيه الوعد والوعيد (ويل يومئذ ) يجىء يوم الجزاء كائن (للمكذبين ) .

(الم نجعل الارض كفاتا ) اى جامعة لكم (احياء واموانا ) وهذه نعمة يجب شكرها لله تعالى وآية دالة على قدرته تعالى وانه (فعال لما يريد ) ومن ذلك البعث بعد الموت .

(وجعلنا فيها رواسى شامخات) وفى ذلك منافع كثيرة من هطول الامطار والسيول والانهار بخلاف لو كانت غير راسية .

(واسقيناكم ماء فراتا ) اى حلوا .

(ويل يومئذ للمكذبين ) بما جاءت به الرسل ، انفعل ذلك من غير حكمة .

(انطلقوا ) اى يقال لهم فى ذلك اليوم وهو يوم الجزاء .

(الى ظل ذى ثلاث شعب) وهو ظل دخان جهنم فان الدخان الكثير اذا علا تشعب وانقسم فرقا[1].

(لا ظليل ولا يغنى من اللهب) اى لا نفع فيه فانه لا يدفع الحر ولا اللهب .

(انها) اى النار (ترمى بشرر كالقصر) اى انها لشدة حرارتها تقذف بالشرر الذى يشبه البناء العظيم فى كبره .

(كأنه جمالة صفر) اى يشبه الجمال السود فى لونه والعرب تسمى الجمل الاسود : اصفر[2].

(ويل) اى هلاك (يومئذ) يتحقق هذا الموعود به كائن (للمكذبين) بيوم الحساب هذا .

(انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون) اى يقال لهم هذا القول اى اذهبوا الى الشىء الذى كنتم تكذبون به وهو النار .

(هذا يوم لا ينطقون) اى يحصل هذا لهم يوم لا ينطقون لان ليوم القيامة احوالا ففى بعضها ينطقون وفى بعضها لا ينطقون .

(ولا يؤذن لهم) فى العذر (فيعتذرون) الظاهر ان هذا بعد مناقشة الحساب وبعد الامر بهم الى النار .

(ويل يومئذ) اى هلاك كائن فى هذا اليوم (للمكذبين) .

(هذا يوم الفصل) اى يوم القضاء (جمعناكم) له انتم (والاولين) اى من الامم قبلكم .

(فان كان لكم كيد) اى فان كانت لكم قدرة على الكيد (فكيدون) اى فابرزوها وكيدونى لكن لا كيد ولا تدبير انما هو الصمت الكظيم امام هذا التأنيب الاليم .

(ويل يومئذ) يحصل ذلك كائن (للمكذبين) .

---

(١)

(٢) ومنه قول الاعشى : تلك خيلى وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب
انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣ : ٢٩٤) ط/الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(ان المتقين فى ظلال وعيون ) اى انهم فى الجنة فى عزة ومنعة والعيون تجرى من تحتهم .

(وفواكه مما يشتهون ) من انواع فواكه الجنة .

(كلوا واشربوا هنيئا ) اى يقال لهم هذا ايناسا لهم .

(بما كنتم تعملون ) الباء سببية اى بسبب عملكم الصالح .

(ويل ) هلاك (يومئذ ) يحصل هذا كائن (للمكذبين ) بيوم القيامة والجزاء على الاعمال .

(كلوا وتمتعوا قليلا ) خطاب للكفار فى الدنيا تهديدا لهم وتحذيرا من العاقبة وسمى تمتعهم فى الدنيا قليلا لانه لامحالة زائل اما بذهاب اسبابه واما بالموت ثم ملاقاة ما اوعده من عقاب على الاعمال السيئة .

(انكم مجرمون ) وبال المجرمين العذاب .

(ويل يومئذ للمكذبين ) الذين جروا انفسهم لهذا العذاب الاليم .

(واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ) قال ابن جرير : واولى الاقوال فى ذلك ان يقال ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم المجرمين انهم كانوا له مخالفين فى امره ونهيه ولا يأتمرون بامره ولاينتهون عما نهاهم عنه (١) .

(ويل يومئذ للمكذبين ) الذين حملهم تكذيبهم على معصية الله والكفر بما ارسل به رسله .

(فبأى حديث بعده يؤمنون ) الفاء فصيحة والمعنى فاذا لم يؤمنوا بهذا القرآن استنادا لما فيه من الادلة التى لا تحتمل النقض فانهم لن يؤمنوا بعده بحديث مستنده الدليل القاطع .

فى النص اثبات للبعث والجزاء بالاقسام من الله على وقوعه ، وبيان وقت وقوعه وفيه التذكير بما حصل من عقاب لكفار الامم الماضية جزاء لكفرهم .

وفيه الدليل على البعث من واقع النشأة الاولى .

ومن آثار قدرة الله فى تصريف هذا الكون .

وفى النص ان البعث للروح والجسد معا لان ماذكر من الجزاء نعيما وعذابا من خصائص الاجسام فلا يحتمل غير البعث والجزاء الجسمانيين .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ( ٢٩ : ١٥٠ ) ط/الثانية اعيد طبعه بالاوفست ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

* * *

## سورة ق

### النص القرآني .

قال تعالى :

١ " ق والقرآن المجيد ، بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ، قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج ، افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج . كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط ، واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ، افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ، ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ، القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب ، الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد " .

" قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ، قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد ، يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ، وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد ، هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب ، وجاء بقلب منيب ، ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ، وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن

الليل فسبحه وادبار السجود واستمع يوم ينادِ المناد من مكان قريب، يـــوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة (ق) نزلت بعد سورة (المرسلات) .

بيان النص .

قوله (ق) حرف من حروف الهجاء جيء به للتنبيه وايقاظ السامع .

(والقرآن المجيد) من المجد وهو الشرف والكرم، وجواب القســـم محذوف تقديره انك نذير وما آمنوا بانه منزل من عند الله، ثم اضرب عـــن الجواب الى بيان الداعي اليه .

قال (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) ، (بل) حرف اضراب انتقالي انتقل به من حكاية عدم ايمانهم الى حكاية عجبهم الداعي لشدة انكارهم .

(عجبوا) العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء[1] .

(أن جاءهم منذر منهم) اى من ان جاءهم منذر من جنسهم .

(فقال الكافرون هذا شيء عجيب) اى مجيء المنذر وما انذر بـــه من البعث، ثم دعموا تعجبهم فاوردوا الشبهة التي يعتمدونها في انكـــار البعث فقالوا (أئذا متنا وكنا ترابا) نرجع، ثم بينوا وجه العجب فقالـــوا (ذلك رجع بعيد) اى متعذر او متعسر .

لذا كان الجواب (قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ) .

قد حرف تحقيق اذا دخل على الفعل الماضي وقوله (علمنا) فعـــل ماض فهو اذا محقق .

(ما تنقص الارض منهم) ما واقعه على الاجزاء التي تتآكل في قبورهـــم حتى تستحيل ترابا (وعندنا كتاب حفيظ) لاعمالهم .

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (ص ٣٢٢) . وقال ابن الاثـــير في النهاية في غريب الحديث (٣ : ١٨٤) : والتعجب مما خفـــي سببه ولم يعلم .

والجزاء متوقف على امرين :

الاول : ايجادهم بعد الموت بانفسهم ، وهذا متوقف على قدرة معيدة للانسان بعد صيرورته ترابا .

والثانى : ان يكون محصيا لاعمالهم ليجازوا عليها .

اما الاول ، فاليه الاشارة بقوله تعالى ( قد علمنا ما تنقص الارض منهم ) واذا علمنا ونحن قادرون على جمعه وارجاعه فسنرجعه اذا اردنا .

واما الثانى ، فقد كلفنا الملائكة باحصاء اعمالهم وعندنا ماكتبوه محفوظا والى ان يبعثوا واليه الاشارة بقوله ( وعندنا كتاب حفيظ ) .

( بل كذبوا بالحق ) وهو ماجاءهم به النبى صلى الله عليه وسلم .

( لما جاءهم ) ، ( لما ) ظرف زمان والعامل فيه ( كذبوا ) والمعنى انهم كذبوا بالحق اول مابلغوا به فلم يتأنوا لينظروا فى ادلته .

( فهم فى امر مريج ) اى مختلط عليهم والفاء لتعقيب النتيجة على مقدماتها اى انهم لما كذبوا بالحق لما جاءهم فهم بسبب ذلك فى امر مختلط .

( افلم ينظروا ) الهمزة للانكار والفاء عاطفة على محذوف تقديره اكذبوا بالحق فلم ينظروا ( الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد ) وكل هذا يدل على قدرة قادر وتدبير لمدبر حكيم فعال لما يريد فاذا قال انه سيميت الموتى فسوف يبعثهم حتما .

( واحيينا به بلدة ميتا ) الباء فى قوله ( به ) سببية والضمير للماء المبارك .

والمعنى ان الله سبحانه يحيى بهذا الماء الارض المجدبة بانزاله عليها واحياؤها انبات النبات فيها من البذور المنتشرة فى باطنها ، وهذا وجه الشبه بين اخراج النبات من الارض واخراج الموتى منها فى قوله ( كذلك الخروج ) اى مثل ذلك الخروج للنبات من الارض بعد المطر يكون خروج الموتى من قبورهم يوم القيامة .

فى الصحيحين عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مابين النفختين اربعون ، قالوا يا ابا هريرة اربعون يوما ؟ قال : ابيت[1] ، قالوا : اربعون شهرا ؟ قال : ابيت ، قالوا : اربعون سنة ؟ قال : ابيت ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة[2] .

وفى رواية لمسلم (كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب)[3] .

بين هذا الحديث كيفية البعث الذى اشار الله اليه بقوله فى الاية (كذلك الخروج) والسنة شارحة ومبينة للقرآن الكريم .

والحاصل : اقسم الله بالقرآن المجيد اشارة الى دليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما انذر به ولكنهم ما آمنوا ، بل عجبوا .

عارضوا الدليل بقولهم (ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) .

اى لو كان محمد صادقا لما اتى لنا بالرجع البعيد فى قوله انكم تبعثون بعد ان تصيروا ترابا لكن كونه لم يأت بالرجع باطل فبطل ماادى اليه وهو كونه صادقا وثبت نقيضه وهو كونه كاذبا .

الجواب : نمنع هذه الملازمة ، كيف والله يعلم ماتنقص الارض من اجسامهم وكل اعمالهم فى كتاب حفيظ ، وهو قادر على جمع الاجزاء وتصويرها ونفخ الروح فيها .

وكيفية الاخراج يأتى بعجب الذنب ويخرجه من الارض كما تنبت البذرة وتحيى وتنمو (كذلك الخروج) .

وبعد ان ابطل حجتهم ذكرهم بمصير مكذبى الامم قبلهم وما حل بهم نتيجة تكذيبهم الانبياء ليعتبروا فقال ( كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب

---

( ١ ) قوله (ابيت) اى امتنعت عن القول بتعيين ذلك لانه ليس عندى فى ذلك توقيف . انظر فتح البارى لابن حجر ( ٨ : ٥٥٢ ) ط/السلفية.

( ٢ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى لابن حجر ( ٨ : ٦٨٩ ) وصحيح مسلم ( ٨ : ٢١٠ ) مطبعة محمد على صبيح ١٣٣٤هـ .

( ٣ ) صحيح مسلم ( ٨ : ٢١٠ ) .

الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط ، واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ) اى تحقق ما اوعدتهم به من العذاب على كفرهم وهذا دليل على ان ما اوعدت به يتحقق وقد ارسلت لكم رسولا كما ارسلت لهؤلاء رسلا فوعدتكم واوعدتكم فان كذبتم اصابكم من العذاب مثل الذى اصابهم لاتحاد العلة (فكل كذب الرسل ) فكل من كذب رسل الله اخذه الله بعقابه وهذه امثلة على العقاب الدنيوى .

واذا ثبت العقاب الدنيوى دل على العقاب الاخروى من حيث ان الكل جزاء على عمل اخبر الله بوقوعه ، ثم اكد الانكار الاول عليهم فقال (افعيينا بالخلق الاول ) الهمزة للانكار والفاء عاطفة على مقدر اى اكذبتم فعيينا بالخلق الاول اى ان سبب التكذيب عدم الدليل على امكانه فى نظركم والدليل اننا اوجدنا الخلق الاول ولم نعى به فكيف تنكرون قدرتنا على اعادته .

(بل هم فى لبس من خلق جديد ) اى ليس التكذيب بالبعث لاننا عجزنا عن الخلق الاول فهذا لا ينكرونه بل اتاهم اللبس والخلط وعدم التمييز من قولهم ان البعث يستلزم خلقا جديدا غير الخلق الذى احسن او اساء فيكون المجازى غير الاول .

وهذا ظاهر اذا كان عن عدم محض ولكن اذا قلنا عن تفريق فانهم يقولون ان الخلق الجديد لازم ، لان الاجزاء ذهبت ترابا وتحلل التراب الى شجر ونبات وحيوان واكل وتعدد اكله على مدى الزمن فيستحيل ان يعاد بذاته لجميع من تكون فيه ، فلابد من خلق جديد .

والجواب علم من قوله (كذلك الخروج ) فعجب الذنب يشتمل على المكونات التى تحمل اصل الانسان محتفظة بكل ابعاده ، وتحمل النفس المسئولة عن اعمالها فى هذا الجسد الذى تكون من هذا العجب فانه الاساس الذى ورث به كل اصله ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم (منه خلق وفيه يركب)[1] .

بين ذلك بقوله (ولقد خلقنا الانسان ) فى اول خلق وكلفناه (ونعلم ماتوسوس به نفسه ) من نيات ومقاصد وعقائد .

---

(١) تقدم فى ص ٤٧

(ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ) حبل الوريد هو مايحمل الدم الى القلب ليدفعه الى الرئة فتنقيه مما علق به من فساد ثم يعود الدم مرة اخرى ليغذى خلايا الجسد فى كل موضع من مواضعها ،اذا فالله عليم بكل اجزاء الانسان جزءا جزءا وعليم بتدبيره فى كل جزء فهو اقرب الى جزئياته من نفسه بعلمه ورحمته ،اذا هو قادر على اعادة هذا الانسان وتنظيمه وتدبيره كما كان .

(اذ يتلقى المتلقيان ) اى اذكر يوم يتلقى المتلقيان وهما الحفظة والكتبة .

(وجاءت سكرة الموت) وهى حالة تعرض بين المرء وعقله والمراد بها الاغماءات التى تنتاب المحتضر .

وفى حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرض موته (لااله الا الله ان للموت سكرات)[1] يريد شدائد تشغل عن غيرها .

(بالحق ) الباء للملابسة اى متلبسة بالحق فينكشف له الحق الذى كان يمارى فيه فى حياته .

(ذلك ماكنت منه تحيد ) اى يقال له ذلك الذى كنت تفر من الايمان به والمشار اليه الحق والمراد به مادعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى اعتقاده والايمان به من وحدانية وبعث وجزاء وغيره مما دعا اليه صلى الله عليه وسلم .

(ونفخ فى الصور) الواو عاطفة على قوله (وجاءت سكرة الموت بالحق) والصور هو البوق الذى ينفخ فيه عند قيام الساعة (ذلك يوم الوعيد ) اى الوقت الذى ينفخ فيه فى الصور هو يوم الوعيد الذى اخبرت به الرسل عن الله .

(وجاءت) اى فى هذا اليوم (كل نفس) للحساب (معها سائق ) يسوقها للمحشر (وشهيد ) عليها بعملها .

(لقد كنت فى غفلة من هذا ) المجىء وهذا الموقف فالخطاب للكافر.

---

( ١ ) اخرجه البخارى ،انظر صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى (١١:١٣٦).

(فكشفنا عنك غطاءك) اى ازلنا عنك غطاء الغفلة بمعاينة ماكنت تكذب به وتغفل عنه .

(فبصرك اليوم حديد) اى قوى والمراد بالبصر الادراك .

(وقال قرينه) الذى كان يكتب اعماله (هذا مالدى عتيد) اى معد محضر، والمشار اليه اعمال العبد .

(القيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب) الخطاب للسائق والشهيد .

(الذى جعل مع الله الها آخر) استحق العذاب (فالقياه فى العذاب الشديد) .

(قال قرينه) اى شيطانه كما جاء فى سورة الزخرف "ومن يعش عن ذكر الله نقيض له شيطانا فهو له قرين"[1] والقرين فعيل من الاقتران وهو الازدواج والاجتماع والكافر وقرينه من الجن قد اجتمعا فى معصيتهما لله .

(ربنا ما اطغيته) اى ما اجبرته على الطغيان وهو مجاوزة الحد .

(لكن كان فى ضلال بعيد) اى متمكن من الضلال بعيد عن الحق، هذا جواب من الشيطان بعد ان يحتج الكافر بانه الذى اغواه بقرينه قوله تعالى (لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) اى فى كتبى وعلى السنة رسلى (مايبدل القول لدى) اى قول الوعيد وهو (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)[2] .

(وما انا بظلام للعبيد) انما هى اعمالكم احصيتها عليكم فاجازيكم عليها .

(يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) اى انها لا تضيق بالكفار مهما القى فيها .

(وازلفت الجنة) اى قربت (للمتقين غير بعيد) اى مكانا غير بعيد .

ويقال لهم (هذا) النعيم هو (ماكنتم توعدون) ليكون جزاء (لكل اواب حفيظ من خشى الرحمن) ايمانا منه (بالغيب وجاء بقلب منيب) اى متصفا بالانابة وهى الرجوع الى الله من الذنوب الى الطاعة .

---

(١) سورة الزخرف : ٣٦

(٢) سورة ص : ٨٥

(ادخلوها بسلام) اى يقال لهم ادخلوا الجنة بسلام من كل مكروه .

(ذلك يوم الخلود ) اى ذلك اليوم الذى يقال لهم فيه هذا القول هو (يوم الخلود ) اى ابتداء الخلود فى النعيم الابدى الذى لا زوال ، ولا نهاية له وهذا من تمام السلامة لهم مما يكرهون .

(لهم مايشاءون فيها ) اى فى الجنة (ولدينا مزيد ) . قال انس رضى الله عنه هو النظر الى وجه الله الكريم .(١)

(وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ) .

(كم) للتكثير اى وكثيرا اهلكنا قبلهم (من قرن ) تمييز لكم والقرن القوم المقترنون فى زمن واحد(٢) ، والمراد الامم التى عصت رسل الله فعاقبهم الله بالهلاك كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم .

(هم اشد ) صفة لقرن (منهم ) اى من المكذبين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم المعارضين لها .

(بطشا ) تمييز لاشد البطش، الاخذ بشدة اى فلم تحمهم شدة بطشهم وقوتهم منا بل جاءهم الهلاك .

(فنقبوا فى البلاد ) الفاء عاطفة على مقدر يدل عليه السياق اى جاءهم الهلاك فنقبوا فى البلاد طلبا للفرار (هل من محيص) .

(محيص ) مصدر ميمى من حاص يحيص اذا طلب الفرار .(٣)

(ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) واع متيقظ فهو الذى ينتفع بالذكرى والاشارة الى اهلاك الامم الكثيرة قبلهم بسبب كفرهم ، فيعلم من تنفيذ الوعيد الدنيوى ان الوعيد الاخروى سيكون لا محالة .

(او القى السمع وهو شهيد ) ، (او) لتقسيم حال صاحب الذكرى النافعة .

---

( ١ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٦ : ٤٠٨ ) ، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ( ٦ : ١٠٨ ) .

( ٢ ) انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصبهانى (ص٤٠١ ) تحقيق محمد سيد كيلانى مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

( ٣ ) قال فى القاموس المحيط ( ٢ : ٣١١ ) : ( والمحيص المحيد والمعدل والمهرب ... ) .

(والقى السمع) اى استمع لما يقال له ومايتلى عليه من الوحى الذى يقص ماجرى لتلك الامم قبله من جزاء تكذيبهم والمراد سماع القبول والتدبر .

(وهو شهيد ) اى حاضر الفهم لان اللاهى فى حكم الغائب وان حضر بجسمه فهو غائب بادراكه وفهمه .

(ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما ) من اصناف المخلوقات .

(ومامسنا ) وما اصابنا من ذلك[1] (من لغوب)[2] اى تعب[3] .

(فاصبر على مايقولون ) اى مايقول المشركون فى شأن البعث من الاباطيل المبنية على الاستبعاد .

(وسبح بحمد ربك ) اى نزهه تعالى عن العجز عما يريد وعن وقوع الخلف فى اخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث ونزهه عن كل نقص حامدا له على انعامه (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) اى وقتا الفجر والعصر .

(ومن الليل فسبحه ) اى وسبحه بعض الليل .

(وادبار السجود ) اى واعقاب الصلاة .

(واستمع يوم ينادالمناد من مكان قريب) اى واستمع يامحمد مايوحى اليك من احوال يوم القيامة .

وقيل : استمع بمعنى انتظر[4] ويجوز ان يكون المعنى واستمع لهم اى لصراخهم وعويلهم ،والخطاب لكل سامع،وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم.

(يوم ) منصوب بفعل مقدر دل عليه قوله (ذلك يوم الخروج )اى يخرجون من القبور (يوم ينادالمناد ) وهو الملك الموكل بالنداء قيل انه اسرافيل وقيل جبريل وقيل غيرهما والمراد دعوة الخلائق لموقف الحساب (من مكان

---

(١) قال الراغب فى المفردات فى غريب القرآن (ص٤٦٧ ) :والمس يقال فى كل ماينال الانسان من اذى نحو قوله "وقالوا لن تمسنا النار. ." .

(٢) يقال ان الاية نزلت فى اليهود عندما قالوا ان الله خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت . ذكره الواحدى فى اسباب النزول (ص٢٢٦ ) .

(٣) انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ٤٥١ ) .

(٤) انظر روح المعانى للالوسى ( ٢٦ : ١٩٣ ) .

قريب) من مواقعهم فيسمعونه سماعا واضحا (يوم يسمعون الصيحة) ، (يوم) بدل من يوم الاولى والصيحة الصوت المرتفع وهى النفخة الثانية .

(بالحق) الباء للملابسة والمعنى يوم يسمعون الصيحة المحققة الثابتة .

(ذلك يوم الخروج) اى وقت الخروج من القبور الى المحشر .

(انا نحن نحيى ونميت) فى الدنيا من غير ان يشاركنا فى ذلك احد .

(والينا المصير) لا الى غيرنا المرجع فى الاخرة لان الذى قدر على التصرف فى الانسان فى حياته الاولى بالاحياء والاماتة من غير سبق مثال ، قادر على التصرف فيه بعد موته باحيائه وارجاعه حيا مرة اخرى .

(يوم تشقق الارض عنهم) ، (يوم) ظرف للمصير والمعنى الينا مصيرهم يوم تشقق الارض عنهم اى انهم ينبتون من الارض فتنشق عنهم كما تنشق عن النبات كما مر عند قوله (كذلك الخروج) .

(سراعا) مصدر وقع حالا من الارض .

(ذلك حشر علينا يسير) (انما امرنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) .

فى النص: (١) اثبات صدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به بوصف ما جاء به بانه (مجيد) وهذا دليل كونه من عند الله .

(٢) الرد على منكرى البعث فى دعواهم ان رجع الانسان بعد صيرورته ترابا بعيد بقوله (قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ) .

(٣) بيان ان الحامل لهم على انكار البعث ليس دليلا بل مجرد التكذيب بالحق بلا دليل .

(٤) الاستدلال للقدرة على البعث بما هو مشاهد فى الكون من آثار القدرة الالهية .

(٥) بيان كيفية البعث وهى ان الناس ينبتون من الارض كما ينبت النبات (كذلك الخروج) .

(٦) الاستدلال بعدم العى عن الخلق الاول على القدرة على احياء الموتى .

(٧) بيان بعض احوال الاخرة وما يحصل فيها من نعيم وعذاب .

(٨) ان البعث للروح والجسد معا لقوله (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) وقوله (ذلك حشر علينا يسير) .

* * *

## سورة الطـــارق

النص القرآنى .

"والسماء والطارق ، وما ادراك ما الطارق ، النجم الثاقب ، ان كـــل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مما خلق ، خلق من ماء دافق ، يخـــرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر ، يوم تبلى السرائر ، فماله مـــن قوة ولا ناصر" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الطارق نزلت بعد سورة (البلد ) .

بيان النص .

(والسماء والطارق ) الطارق - هو كل آت ليلا[1] ، عن ابن عبـــاس قال : اقسم ربك بالطارق وكل شيء طرقك بالليل فهو طارق[2] هذا فى اصل الاستعمال والاية التالية بينت المراد به هنا .

(وما ادراك ما الطارق ) استفهام القصد منه التنويه بشأن هـــذا الطارق اى ان شأنه عظيم لا يدخل فى ادراكك ثم بينه بقوله (النجـــم الثاقب) اى هو النجم الثاقب ومعنى الثاقب الذى يثقب الظلام بضـوئـــه[3] فينفذ الى الارض فيستنير به السائر فى ظلام الليل الى مقصده لا يضل يمنة ولا يسرة عن طريقه ، هذه هداية محسوسة فى طريق محسوس .

وكانت نعمة من الله على السائرين فى الظلام الحالك وقاية لهـــم

---

(١) قال الراغب فى المفردات فى غريب القرآن (ص٣٠٣ ) : والطارق السالك للطريق لكن خص فى التعارف بالاتى ليلا فقيل طرق اهله طروقـــا وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قال (والسمـــــاء والطارق ) .

(٢) انظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ( ٦ : ٣٣٥ ) .

(٣) قال الراغب فى المفردات فى غريب القرآن (ص٧٩ ) : الثاقـــب - المعنى الذى يثقب بنوره ، واصابته مايقع عليه . قال الله تعالى (فاتبعه شهاب ثاقب) وقال تعالى (والسماء والطارق وما ادراك ما الطـــارق النجم الثاقب) واصله من الثقبة . الى ان قال وقالوا : ثقبت النـــار اى ذكيتها .

عن ظلال الطريق الذى يهلكون فيه فاذا كان الله له العناية بهذا ، وخلق الانسان وجعل له الهداية فى هذه الحياة الا يعنى بحفظه فى هذه الحياة ؟

لقد عنى به فجعل له حفظة من وقت ولادته الى ان يشب ويبلغ وتأتيه هدايته من الله تعالى فهل يتقبلها ؟ فان فيها الحفظ الاعلى من هلاكه فى الدنيا والاخرة .

وجواب القسم قوله (ان كل نفس لما عليها حافظ) .

(ان) نافية بمعنى ما (كل نفس) من نفوس البشر المدركة المفكرة العاقلة (لما عليها) اى الا عليها (حافظ) يحفظها واعمالها .

اعبث ما فعل ام لحكمة خلق نفس الانسان مفكرة عاقلة مدركة وجعل لها ما يهديها فى الظلام الحالك وجعل لها ما يحفظها مما لا تدركه وجعل لها حافظا على اعمالها حتى لا تضيع اعمالها فلا ينال عليها اجرا .

ان كان الانسان لا يدرك ذلك (فلينظر) وليفكر وليدرك فى نفسه من حيث وجوده من اى شىء خلق ؟ سيجد نفسه (خلق من ماء) يحمل خلايا بدء خلقه (دافق) الدفق صب فيه دفع وسيلان بسرعة(١) فيندفق فى الرحم فتتساوى جميع خلاياه فى التسابق الى البويضة التى تنتظرها فى الرحم فاقواها الذى يسبق اليها ويستطيع اختراقها قبل سواه ويندمج فيها فتبدأ اولى حلقات تطور خلق الانسان .

(يخرج من بين الصلب) كناية عن الرجل .

(والترائب) كناية عن المرأة .

من قدر على ذلك وقدر ان يحفظه بقية حياته مما لا يدركه ويحفظ عليه اعماله ليجازى عليها اهو قادر على ان يرجعه ؟

نعم (انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر) .

(فما له من قوة) على كتم سرها (ولا ناصر) يحميه من الحساب عليها .

فى هذا النص مقابلة بين المبدأ والمعاد تدل على ان القادر على البدء قادر على الاعادة بالاولى .

---

(١) قال الراغب فى المفردات فى غريب القرآن (ص١٧٠) : دفق قال تعالى (ماء دافق) سائل بسرعة ومنه استعير جاءوا دفقة ، وبعير ادفق سريع ومشى الدفقى اى يتصبب فى عدوه كتصبب الماء المتدفق ومشوا دفقا .

## من سورة القمر

النص القرآني .

قال تعالى : " يوم يدع الداع الى شيء نكر، خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر، مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان نزول سورة (القمر) بعد سورة (الطارق) .

بيان النص .

قوله (يوم) ظرف لقوله (يخرجون) الاتي (يدع الداع) وهو الملك الموكل بهذا الامر اى يوم ينادى المنادى .

(الى شيء نكر) اى منكر عليهم .

(خشعا ابصارهم) حال من فاعل يخرجون .

(يخرجون من الاجداث) اى من القبور، وفي هذه الاية دليل على ان البعث للجسد والروح معا لان الذى فى الاجداث هى الاجسام ثم تقرن بالارواح كما فى قوله تعالى ( واذا النفوس زوجت)[1] .

ولو لم يكن البعث للجسد والروح لما كان فى تقييد الخروج لما فى الاجداث اى فائدة .

(كأنهم جراد منتشر) فى الكثرة والتموج والانتشار فى الارض والجملة حالية .

(مهطعين الى الداع) اى مسرعين الى الجهة التى فيها الداعى خاضعين لامره .

(يقول الكافرون هذا يوم عسر) اى صعب شديد يقولون هذا عندما يشاهدون مخايل هوله او لتذكرهم اخبار الرسل به وتكذيبهم لهم .

---

(١) سورة التكوير : ٧

نأخذ من هذا النص ان البعث جسماني وروحاني ، نأخذ هذا من تقييد الخروج بكونه من الاجداث في قوله ( يخرجون من الاجداث ) فلو لم يكن البعث جسمانيا وروحانيا لما كان للقيد فائدة .

* * *

## سـورة ص

### النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) " وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب" .

( ٢ ) " ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ، كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب" .

### متى نزلت؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان نزول سورة (ص) بعد سورة (القمر) .

### بيان النص .

نزلت سورة (ص) وجاء فيها (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) .

قالوا ذلك استهزاء لان من آمن بيوم الحساب لا يتعجل حسابه قبله وامر الله رسوله بالصبر عليهم وساق له من قصص النبيين من لم يصبر وعاقبة امره ومن صبر وعاقبة امره .

ثم جاء بعد قصص داود عليه السلام قوله (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) اى يحصل لهم العذاب الشديد بسبب نسيانهم يوم الحساب اى تركهم الايمان بما يكون فيه وما يقتضيه من بعث بعد الموت وحشر للحساب وجزاء على الاعمال ثم بين ان الحكمة توجب وجود البعث وحتميته فذكر ثلاثة ادلة .

الاول : قوله (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما ) اى من مخلوقات ومنها الانس والجن (باطلا ) صفة لموصوف محذوف اى خلقا باطلا[1] لا حكمة

---

( ١ ) الباطل مالا فائدة تترتب عليه من دفع ضر او جلب نفع وقد يصاحبه ضر ودفع نفع فيكون الاول عبثا والثاني سفها .

فيه وهو الذى يكون اما سفها او عبثا ولهوا ، ومحل القصد من النفى والمعنى لو كان الامر كما تدعون من انه ليس هناك بعث وليس هناك جزاء على الاعمال لكان خلقنا السماء والارض ومابينهما عبثا او سفها لا حكمة وراءه ولا غاية له لكن خلقهما كذلك باطل فيطل ما ادى اليه وهو عدم البعث والجزاء وثبت نقيضه وهو وجوب البعث والجزاء .

قوله (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) .

(ذلك) خلق السماء والارض ومابينهما باطلا (ظن الذين كفروا) اى مظنونهم (فويل) الفاء عاطفة لترتيب الويل وهو الهلاك على سببه وهو الظن المذكور كائن (للذين كفروا من النار) من سببية اى ان الهلاك كائن لهم من النار .

الدليل الثانى قوله (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) (ام) منقطعة تقدر ببل والهمزة تفيد انكار التسوية بين المؤمنين والمفسدين المترتبة على نفى البعث والجزاء .

والمعنى لو لم يكن هناك بعث وجزاء لكان لا مكافأة لعامل الخير ولا معاقبة لعامل الشر فاستويا فى عدم المسئولية والجزاء وهذا ممتنع عقلا حصوله من الله لانه يكون قد اقر الظلم والاعتداء من ناحية عامل الشر والغى الداعى الباعث على الخير وهذا الغاء لحكمة التكليف لا يليق بالرحمن الرحيم ، وبل المقدرة تفيد الاضراب الانتقالى من الاستدلال على البعث والجزاء بالحكمة فى خلق السماء والارض ومابينهما الى الاستدلال عليهما بالعدل والتنزيه عن العبث الذى يقتضى التفريق بين المحسن والمسىء فان التسوية بينهما باطل وظلم لا يقره عقل ولا شرع والله منزه عن ذلك .

ولا تنتفى التفرقة بين المؤمن والمفسد فى الارض الا بالبعث والجزاء .

الدليل الثالث : قوله تعالى (ام نجعل المتقين كالفجار) القول فى ام كالقول فى ام التى قبلها والمعنى لو لم يكن هناك بعث وجزاء لكان المتقون من المسلمين كالفجار منهم وهذا باطل لانه لم يكن عدل ان ينال المتقى كالفاجر ولو لم يكن هناك بعث وجزاء لكانا سواء فى عدم المسئولية والجزاء وهذا باطل مناف للحكمة فى خلق السماء والارض ومابينهما ومناف للعدل ثم بين سبحانه الغرض من انزال القرآن .

فقال (كتاب انزلناه اليك مبارك) كتاب مبتدأ وانزلناه صفة و(مبارك) خبر .

و(مبارك) كثير النفع فى الادلة التى يحتاجها الايمان ومبارك كثير النفع فى تشريعاته من تعبدات ومعاملات وشرائع فى الحلال والحرام ومبارك كثير النفع فى التوجيه للصفات الانسانية الكاملة فى تزكية النفس والتحذير من اضدادها وذلك (ليدبروا آياته) الكثيرة على مابيناه (وليتذكر اولوا الالباب) وليتعظ به اصحاب العقول النيرة الزاكية .

فى هذا النص من سورة (ص) بيان الحكمة فى خلق السموات والارض ومابينهما ، وان الحكمة تقتضى ان يكون هناك بعث وجزاء على كل ما اكتسبه الانسان فى حياته الدنيا ولو لم يكن هذا لكان خلق السموات والارض ومابينهما باطلا وذلك محال على الله .

وان عدم البعث والجزاء يقتضى التسوية بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين فى الارض، ويقتضى التسوية بين المتقين والفجار .

والحكمة والعدل يقتضيان التفريق بينهما .

فوجب وجود البعث والجزاء على الاعال تنزيها لله عن العبث واللهو وعن السفه واللعب فى خلق السماء والارض ومابينهما ، وتنزيها لله عن الظلم وعدم العدل فى التسوية بين المصلحين والمفسدين ، وبين المتقين والفجار .

* * *

## سـورة يـــس

### النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) " انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين " .

( ٢ ) " ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ، قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ماكنتم تعملون " .

( ٣ ) " اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ، اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة يس نزلت بعد سورة الجن .

### بيان النص .

( انا نحيي الموتى ) اي اننا ( نحن ) ضمير المتكلم المعظم نفسه وهو فاعل لنحيي في المعنى فقدم عليه لافادة الحصر اي نحن لاغيرنا نحيي الموتى ( ونكتب ماقدموا ) من اعمال لنجازيهم عليها .

( وآثارهم ) لان الاعمال تنقسم الى قسمين ، اعمال لا اثر لها ولا دوام واعمال لها دوام وآثار خيرة او شريرة تترتب عليها والله يكتب ماعملوه من كلا القسمين ليحاسبهم على اعمالهم وماترتب عليها ، اخرج الامام مسلم في صحيحه من

حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث ، الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له "[1] .

(وكل شيء احصيناه فى امام مبين ) اى فى كتاب مبين لجميع الاعمال خيرها وشرها حلالها وحرامها وهو القرآن الكريم بالنسبة لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ـ والكتب الصحيحة الثابتة غير المنسوخة للسابقين ( ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة )[2] .

(ونفخ فى الصور ) اى النفخة الثانية (فاذا هم ) الفاء عاطفة لترتيب مابعدها على ماقبلها و(اذا ) هى الفجائية (من الاجداث) اى من القبور (الى ربهم ينسلون ) اى ينفصلون عن الاجداث مسرعين .

(قالوا ) اى الكفار عندما بعثوا (يا ) حرف نداء (ويلنا ) اى هلاكنا وهى كلمة تقال عند حلول المصيبة فكأنهم عندما بعثوا تذكروا ما انذرت به الرسل فصدقهم فى وقوع البعث دال على صدقهم فى بقية ما اخبروا به من حساب وجزاء فكان هذا مبعث تحسرهم .

(من بعثنا ) اى من اثارنا واخرجنا (من مرقدنا ) اى من مكان رقودنا وهو القبر .

الجواب (هذا ) البعث (ماوعد الرحمن ) اى الذى وعد به الرحمن (وصدق المرسلون ) فيما اخبروا من حدوث هذا .

وذكر (الرحمن ) لان معناه المنعم او مريد الانعام من حيث كونه مريدا له اى مريدا للانعام ابتداء للابتلاء فمن شكر شكر الرحمن له ومن كفر استحق منه العقاب الاليم .

(ان كانت) اى النفخة الثانية (الا صيحة واحدة) صاحها الملك الموكل بذلك .

---

(١) صحيح مسلم ( ٥ : ٧٤ ) واخرجه الترمذى فى جامعه ( ٤ : ٦٢٧ ) مع تحفة الاحوذى وابو داود فى سننه ( ٨ : ٨٦ ) مع عون المعبود والنسائى فى سننه ( ٦ : ٢٥١ ) مع شرح السيوطى له ط/الاولى نشر دار احياء التراث العربى ببيروت .

(٢) سورة هود : ١٧

(فاذا هم جميع لدينا محضرون ) اى بمجرد الصيحة بدليل الاتيان بالفاء المفيدة للتعقيب واذا الفجائية (فاليوم ) اى يوم تكون تلك الصيحة واحضار الخلائق (لا تظلم نفس شيئا ) من الظلم بسرة كانت هذه النفس او فاجرة (ولا تجزون الا ماكنتم تعملون ) اى كل يجازى بعمله خيرا او شرا .

قوله (اولم ير الانسان ) الهمزة للانكار والواو عاطفة على مقدر اى اينكر الانسان البعث ولم ير اى ولم يعلم علما كعلم الرؤية (انا خلقناه ) اى اوجدناه بعد تقديرنا اياه (من نطفة) من ماء قليل اى مبتدأ من ماء قليل وهو الدفقة الواحدة من المني الذى يمنى فى رحم المرأة المشتمل على الخلايا الحيوانية التى تتلاقى مع بويضة الانثى فتبدأ اولى مراحل تطور الجنين .

(فاذا هو خصيم مبين ) فعيل من الخصومة وهى الجدل اى اعطيناه ادراكا وفكرا وعقلا وبيانا به يعبر عما فى نفسه ويجادل خصومه ويدرك الحق من الباطل وشتان مابين الماء القليل الذى ابتدأ منه خلقه والمآل الذى آل اليه فالانتقال من الحال الاولى الى الحال الثانية انتقال بالغ فى الغرابة مبلغها والعجب الى غايته فلو لم تكن هناك قدرة قادرة على تطوير هذا الماء من حالته الاولى تطويرا معجزا لما بلغ هذا المبلغ من نضج الادراك ، ونضج التفكير ونضج العقل الذى علم وجوه الاشياء بحيث يحكم بهذا ويمنع هذا ويوجه هذا ويمنع من توجيه هذا . . . امن طوره هذا التطوير يدعه سدى لا يكلفه ولا يسأله ولا يبعث له رسلا ويحاسبه على ماكلفه به ولا يجازيه عليه اتم الجزاء .

فلو تركه سدى لكان خلقه هذا الخلق عبثا او سفها او لهوا ولعبا لكن التالى باطل فبطل المقدم وثبت نقيضه وهو انه لم يتركه سدى فعلام العناد ؟

والفاء فى قوله ( فاذا هو) لترتيب المآل على المبدأ وهو بعيد كل البعد يستلزم وجوده وجود المفاجأة فى النفس حسب المعتاد لها فى ترتيب الاشياء بعضها على بعض بالاسباب والمسببات .

(وضرب لنا مثلا ) الواو عاطفة على مقدر اى خاصم (وضرب لنا مثلا ) والمثل هو الصفة العجيبة اى وبين لنا مثلا فى استبعاد البعث بعد

الموت فى حياة اخرى .

والمثل المضروب اى المبين هو قوله (من يحيى العظام وهى رميم)[1] ، ولو انه نظر لكونه نطفة فصارت انسانا سويا مدركا مفكرا عاقلا قادرا على البيان يخاصم ويجادل لما ضرب هذا المثل يمنع به ما جاءت به الرسل الذين قامت الحجة على رسالتهم لذلك جاء بالجملة المعترضة بين المثل المضروب وبيانه وهى قوله (ونسى خلقه) والنسيان يطلق على الترك اعم من ان يكون عن غفلة او عمد[2] .

ماذا قال فى المثل المضروب ؟

(قال من يحيى العظام وهى رميم) يريد بالعظام عظام الموتى بعد مارمت اى اكلتها تربة الارض فتفتت .

من يجمعها ؟ من يأتى باللحم عليها ؟ من يحيى هذا اللحم بالدم الجارى فى العروق والشرايين والاوردة ؟ من يخلق له المعدة المغذية ؟ من ؟ من ؟ هذا رجع بعيد فكيف يكون ؟ ومن القادر عليه ؟

وجاء الجواب تلقينا للنبى صلى الله عليه وسلم (قل) يامحمد اليهم (يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم) فانشاؤها مبتدأة من النطفة الى ان صارت انسانا مدركا مفكرا عاقلا مخاصما دليل على انشائها مرة ثانية اذ القادر على الاولى قادر على ايجاد الثانية . وقد بينا فى سورة (ق) ان عجب الذنب يشتمل على خصائص صاحبه فينبت فى الارض كالنبات ويعود الميت الى حياته الاولى سواء بسواء فما هو محل الاستبعاد على القادر على مايشاء .

اشار الى ذلك كله بقوله (وهو بكل خلق عليم) فالذى خلقه اولا قادر على خلقه ثانيا لانه بكل خلق ابتداء وانتهاء (عليم) اى بكل مايتعلق به

---

(١) قال السيوطى فى لباب النقول فى اسباب النزول (ص١٨٧) : واخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فتته ، فقال : يامحمد ايبعث هذا بعد ما ارم ؟ قال : نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم ، فنزلت الايات (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) الى آخر السورة .

(٢) قال ابو الحسين ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (٥ : ٤٢١) النون والسين والياء اصلان صحيحان يدل احدهما على اغفال الشىء والثانى على ترك شىء .

من افناء وتفريق وايجاد لايعجزه شيء من خلقه .

(الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ) والشجر الاخضر مشتمل على مانع التفاعل بالحرارة فكيف توجد منه النار .

خلق تعالى وسائل ايجاد النار فى الشجر الاخضر اوجدها مع قيام المانع لانه بكل خلق عليم فكيف لا يوجد الاحياء بعد اماتتهم وتفرقهم فى الارض اليس ذلك شاهدا قائما على قدرته تعالى على ماهو بعيد ظاهر عن الاسباب والمسببات .

(فاذا انتم منه توقدون ) فالفاء اشارة الى بعد المرتبتين المرتبة الاولى قيام المانع من الحرارة وهى الرطوبة الناشئة من الخضرة ، والمرتبة الثانية التفاعل بين المواد بالحرارة حتى نشأت النار فاذا بها تشتعل واذا بهم يوقدون .

(اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ) الهمزة للانكار اى انتكرون اعادتهم بعد موتهم (وليس الذى خلق السموات) بما فيها (والارض) بما عليها (بقادر على ان يخلق مثلهم ) اى خلقا مثلهم قواما واجزاء وحياة لقد خلق السموات من العدم وانشأها ابداعا ودبرها وخلق الارض كذلك وربط بينهما ربطا محكما وكل ذلك يحتاج الى قدرة قادرة وعلم واسع وحكمة فائقة وتدبير مبدع .

اليس القادر المدبر لذلك كله قادرا على ان يخلق مثل الانسان ؟

واذا كان قادرا بالاولى على خلق الانسان من هذا الخلق الا يقدر على اعادته بعد موته ؟

(بلى ) ايجاب لما بعد النفى اى انه قادر على ان يخلق مثلهم (وهو الخلاق العليم ) اى كثير الخلق متقن خلقه (العليم ) بكل ماخلق واذا كان قادرا على خلق مثلهم فاعادته لهم بقدرته تلك امر ليس بالمحال لالذاته ولا لمانع يمنعه .

فالجملة تذييل لبيان المؤثر فى امكان خلق مثلهم ثم بين ان خلقه لما اراد لا يتوقف على الوسائل الخاصة بل ( انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) واذا كان الامر كذلك فليس هناك موانع تمنع من ايجاده اى شيء بقدرته من غير اعتبار الوسائل حتى يقال هذا بعيد وهذا قريب

هذا اولى وهذا مساو وهذا كذا وكذا .

(فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون ) تنزيها له تعالى عن ان يقال فى تصرفه هذا بعيد مستغرب عجيب وهذا غير عجيب لذلك علقه بالاسم الموصول (الذى ) وبينه بقوله (بيده ملكوت كل شىء ) اى المتصرف البالغ فى ملكه من صغير وكبير وحقير وعظيم من الامور .

(واليه ترجعون ) بعد الموت لا الى غيره لا محالة فيحاسبكم على ما كلفكم به ويجازيكم الجزاء الاوفى .

فى النص الاول من سورة يس رد على القائلين بعدم امكان البعث لانه فقد فى نظرهم ما به تكون الحياة .

اولان الانسان اذا مات تفرقت اجزاؤه فيستحيل جمعها لان الله ـ عندهم ـ لا يعلم الجزئيات (انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شىء احصيناه فى امام مبين ) .

وفى النص الثانى منها :

(١) الدليل على ان البعث بالروح والجسد (فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ) .

(٢) بيان كيفية البعث (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ) .

وفى النص الثالث :

(١) المقابلة بين النشأة الاولى والثانية والاستدلال بالقدرة على النشأة الاولى على القدرة على النشأة الاخرى وايد ذلك بقوله (وهو بكل خلق عليم ) .

(٢) ثم يختم الموضوع بذكر بعض اثار قدرته فى الكون المشاهد وتوجيه الانظار الى ان دراسة الكون والانسان والحياة دليل على قدرة الله المطلقة ومن ثم دليل على ان البعث خاضع لهذه القدرة القادرة.

(اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ... ) الايات الى قوله ( واليه ترجعون ) .

* * *

## سـورة مريـم

### النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) " وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا " .

( ٢ ) "والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا" .

( ٣ ) "وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون" .

( ٤ ) "ويقول الانسان أئذا مامت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ، فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا" .

( ٥ ) "يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ، ونسوق المجرمين الى جهنم وردا" .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان نزول سورة مريم بمكة بعد نزول سورة (فاطر) .

### بيان النص .

ومن الايات الدالة على البعث قوله تعالى فى شأن عيسى عليه السلام :

( ١ ) (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ) .

( ٢ ) وقوله تعالى حكاية لقول عيسى عليه السلام (والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ) .

فساق امر البعث فى الايتين مساق قضية مسلم بها كما هى حقيقة الامر فى المسألة وفيهما ان البعث مما جاءت به الشرائع السابقة .

( ٣ ) ومثلهما قوله تعالى (انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون ) الا انه زاد التوكيد المستفاد من الحصر فى قوله (انا نحن ) وبتقديم ما حقه التأخير فى قوله (والينا يرجعون ) .

ثم بعد هذا يأتى الرد على استبعاد الكفار للبعث على نحو ما مر فى سورة ( يس) .اذ يقول تعالى (ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف اخرج حيا ،اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ) اى كان عدما .

ثم توجه بالخطاب الى النبى صلى الله عليه وسلم تسلية له فقال (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ) .

( ٤ ) ويقول تعالى ( يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ،ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ) .

فى هذه الايات من سورة مريم تلخيص وتذكير بما تقدم فى السور التى تقدم نزولها وبين الله فيها البعث وادلته ولله فى تكرار ذكر البعث بهذه الصور الكثيرة - من ايجاز واطناب - حكم ومنها دفع توهم ارادة المجاز او التمثيل كما يدعيه بعضهم وسيأتى فى الخاتمة .

* * *

## سـورة الواقعـة

### النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) " اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا ، وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة ، والسابقون السابقون ، اولئك المقربون ، في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين ، على سرر موضونة ، متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ، الا قيلا سلاما سلاما ، واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشاء ، فجعلناهن ابكارا ، عربا اترابا ، لاصحاب اليمين ، ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ، واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم ، وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ، او اباؤنا الاولون ، قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم ، هذا نزلهم يوم الدين ، نحن خلقناكم فلولا تصدقون افرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان تبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون افرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ، لو نشاء

لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ،انا لمغرمون ،بل نحن محرومون ،افرأيتم الماء الذى تشربون ،أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون ،لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون ،افرأيتم النار التى تورون أأنتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون ،نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم" .

( ٢ ) " فلولا اذا بلغت الحلقوم ،وانتم حينئذ تنظرون ،ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم ،واما ان كان من اصحاب اليمين ، فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم وتصلية جحيم ،ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الواقعة نزلت بعد سورة (طه) .

بيان النص .

قوله (اذا وقعت الواقعة) الواقعة فى الاصل النازلة من صروف الدهر واسم من اسماء يوم القيامة (١) .

(ليس لوقعتها كاذبة) الكاذبة مصدر كالعاقبة اى ليس لمجيئها كذب اصلا ،او لا يرد ها شيء .

(خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما اهميتها قال : هى (خافضة) لاقوام (رافعة) لاخرين والعرب تستعمل الخفض والرفع فى المكان والمكانة والعز والاهانة (٢) وكل ذلك حاصل يوم القيامة وخفضها ورفعها عام للناس والكون تخفض اناسا كانوا فى الدنيا مرفوعين وترفع اناسا كانوا فى الدنيا مخفوضين بحسب اعمالهم وهى خافضة

---

( ١ ) انظر لسان العرب لابن منظور ( ٨ : ٤٠٣ ) ،وقال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة ( ٦ : ١٣٤ ) : والواقعة القيامة لانها تقع بالخلق فتغشاهم . وقال الالوسى فى تفسيره - روح المعانى - ( ٢٧ : ١٢٩ ) وصرح ابن عباس بانها اسم من اسمائها .

( ٢ ) انظر فتح القدير لمحمد بن على الشوكانى ( ٥ : ١٤٧ ) ط/الثانية ١٣٨٣هـ مصطفى البابى الحلبى .

رافعة للكون ومن ذلك نثر الكواكب ونسف الجبال ودكها .

(اذا رجت الارض رجا ) اى حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ماعليها وهو كقوله تعالى ( اذا زلزلت الارض زلزالها )[1] .

(وبست الجبال بسا ) معطوف على(رجت الارض رجا ) اى فتتت تفتيتا بحيث تختلط بما على الارض فهذا معنى البس .

(فكانت) نتيجة لهذا البس (هباء منبثا ) اى غبارا متفرقا فى الفضاء .

(وكنتم ازواجا ثلاثة) الواو عاطفة على مقدر وهو العامل فى اذا فى قوله (اذا رجت الارض) وهو تفرقتم (وكنتم ازواجا ثلاثة) اى اصنافا ثلاثة ثم بينها تعالى فقال :

(فاصحاب الميمنة ) الفاء تفصيلية و( اصحاب الميمنة) هم الذين يأخذون صحائف اعمالهم بايمانهم (ما اصحاب الميمنة) اى اى شيء هم فى حالهم وصفتهم والمراد التعجب مما هم فيه من النعيم .

(واصحاب المشئمة) هم الاشقياء الذين يأخذون صحائف اعمالهم بشمائلهم .

(ما اصحاب المشئمة) اى شيء هم فى حالهم وصفتهم والمراد تعجيب السامع من حال الفريقين فى الفخامة فى الصنف الاول والفظاعة فى الثانى والتأكيد على عقيدة البعث والجزاء على الاعمال التى تقتضيها الحكمة الالهية والعدل الالهى .

(والسابقون ) هذا الصنف الثالث من الازواج الثلاثة والمراد السابقون الى التوبة واعمال البر . هم (السابقون ) اى السابقون فى الاخرة هم السابقون فى الدنيا الى مايؤدى الى سبقهم فى الاخرة .

او نقول : السابقون الاولى مبتدأ والسابقون الثانية تأكيد لكونهم يسبقون الى الخيرات و(اولئك )مبتدأ ثان والمقربون خبره والجملة خبر المبتدأ الاول .

(اولئك ) المتصفون بالسبق الى الاعمال الصالحة الخيرة فى الدنيا .

(فى جنات النعيم ) متعلق بالمقربون اى مقربون عند الله فى جنات النعيم .

---

(١) سورة الزلزال : ١

(ثلة) اى جماعة (من الاولين) وهم من كان قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(وقليل من الاخرين) وهم من بعد مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة .(١)

(على سرر موضونة) اى ان المقربين يجلسون على سرر محكمة النسج مزينة بانواع الزينة .

(متكئين عليها متقابلين) اى متكئين فى حال طمأنينة كافية لراحتهم يتقابلون بوجوههم انسا ومسامرة .

(يطوف عليهم) اى يدور عليهم للخدمة (ولدان) اى خدم فى هيئة الولدان اى صغار السن (مخلدون) اى دائمون لا يهرمون ولا يموتون .

(باكواب) جمع كوب وهو آنية لا عرى لها ولا خراطيم يصب فيها الشراب.

(وابارىق) جمع ابريق وهو اناء مملوء بالشراب ذو خرطوم وعروة .

(وكأس من معين) الكأس الكوب اذا ملىء بالشراب والمعين الخمر الصافية بدليل قوله (لا يصدعون عنها) اى لا تصدع رؤوسهم بشربها اى لا يحصل لهم الصداع (ولا ينزفون) اى لا يفرغ شرابها .

(وفاكهة مما يتخيرون) اى مما تميل اليه انفسهم وترغب فى تناوله .

(وحور عين) معطوف على ولدان اى ويطوف عليهم حور عين جمع عيناء .

(كأمثال اللؤلؤ المكنون) اى فى الصفاء وقيد بكونه مكنونا - اى مستورا لانه اصفى وابعد عن التغير .

(جزاء بما كانوا يعملون) اى يجزون ذلك جزاء بسبب الذى كانوا يعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة . ثم بين تعالى ان هذا الانعام والاكرام منه لعباده المؤمنين ليس له منغص بل هو نعيم تام من كل وجه فقال (لا يسمعون فيها) اى فى الجنة الحاوية لما تقدم من نعيم (لغوا) اللغو الكلام الذى لا يعتد به من هزل ونحوه .

(ولا تأثيما) اى ولا نسبة الى الاثم فان الجنة دار محبة وصفاء

---

(١) انظر روح المعانى للالوسى (٢٧ : ١٣٢) .

لا دار لغو ولا تأثيم .

(الا قيلا ) اى قولا و (الا ) استثناء منقطع فالقول والسلام ليس لغوا ولا تأثيما اى لكن يسمعون فيها قيلا (سلاما سلاما ) اى يسلم بعضهم على بعض من غير غل ولا حسد ولا كراهية .

(واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين ) شروع فى بيان تفاصيل شئونهم بعد تفصيل شئون السابقين ،واصحاب مبتدأ وقوله ( ما اصحاب اليمين ) جملة استفهامية مشعرة بتفخيمهم والتعجيب من حالهم وهى خبر .

(فى سدر مخضود ) السدر شجر النبق والمخضود الذى لا شوك فيه .

(وطلح منضود ) قيل هو شجر الموز والمنضود المرتب[1] (وظل ممدود ) اى مبسوط لا يتقلص (وماء مسكوب) اى مصبوب لا ينقطع (وفاكهة كثيرة) اى كثيرة الانواع (لا مقطوعة) اى انها دائمة باقية فى كل وقت (ولا ممنوعة) اى عمن ارادها منهم بل يتناولها متى شاء (وفرش مرفوعة ) الفرش هنا هى الزوجات .

(انا انشأناهن انشاء ) اى خلقناهن خلقا جديدا والمراد الزوجات المكنى عنهم بالفرش .

(فجعلناهن ابكارا عربا )جمع عروب وهى المحببة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها .

(اترابا ) الاتراب هن اللاتى فى سن واحدة والمراد امثال واشكال .

(لاصحاب اليمين ) متعلق بجعلناهن اى جعلناهن عربا اترابا من اجل اكرام اصحاب اليمين او هذا النميم المذكور هو لاصحاب اليمين فيشمل الزوجات وما ذكر قبلهن .

(ثلة من الاولين ) اى جماعة من الاولين وهم ما قبل امة محمد صلى الله عليه وسلم .

(وثلة من الاخرين ) وهم من بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم شرع فى ذكر ما يلاقيه الكفار من عذاب بعد ان بين ما عد للمؤمنين من الثواب فقال : (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال ) اصحاب الشمال

---

(١) انظر فتح القدير للشوكانى (٥ : ١٥٢) .

هم الذين يأخذون صحائف اعمالهم بشمائلهم .

(فى سموم ) اى هم مستقرون فى سموم وهو حر النار ومايحدثه من لهبها من فيح فيلفحهم وينالهم حره الشديد .

(وحميم ) وهو الماء الحار[1] الذى اشتدت درجة حرارته .

(وظل من يحموم ) اليحموم الاسود والمراد به ظل دخان جهنم[2] .

(لا بارد ولا كريم ) اى انه لا نفع لهم فيه لانه (لا بارد ) فيستريحون لبرودته لدفع ماحل بهم من حر نار جهنم (ولا كريم ) اى لا خير فيه البتة .

(انهم كانوا قبل ذلك ) اى العذاب (مترفين ) منعمين بما لا يحل لهم التنعم به .

(وكانوا يصرون على الحنث العظيم ) اى الذنب العظيم وهو الاشراك بالله وانكار البعث وحلفهم على هذا الانكار ولهذا سماه الله حنثا ويؤيد هذا قوله (كانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا ائنا لمبعوثون ) .

هكذا بين الله لنا حال كل صنف من الاصناف التى تقدمت فى اول السورة فى قوله (وكنتم ازواجا ثلاثة ) .

بين حالهم بيانا واضحا وفى هذا البيان دليل قاطع على ان المراد بالايات التى تتحدث عن البعث حقيقة النص لا مجازه كما يزعمه اصحاب التمثيل فان ماذكر فى الايات نعيما وعذابا هو من خصائص الاجسام .

قوله (كانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون ) . ( أ ) الهمزة للانكار والاستبعاد و(اذا ) ظرفية متضمنة للشرط والعامل فيها نبعث المدلول عليه بقوله (مبعوثون ) اى انبعث اذا متنا وكنا ترابا وعظاما اننا مبعوثون وتقدم بحث هذه الشبهة عن منكرى البعث فى سورة (ق ) وفى سورة (يس) فلا حاجة للاعادة .

قوله ( او اباؤنا الاولون ) الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر هو انبعث (واباؤنا الاولون ) كذلك يبعثون اى ان القول ببعث ابائنا ابعد من القول ببعثنا لتقادم موتهم وبعدهم عن اسباب الحياة وخصائصها وكثرتهم قرنا بعد قرن الى قرون كثيرة فنيت وزالت ولا اثر لها .

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢ : ٢٣ ) .

(٢) نفس المصدر (٢ : ٢٣ ) .

(قل) يامحمد جوابا لهم على استبعادهم وارشادا لهم الى الحق .

(ان الاولين) الذين ترون انهم فى نهاية البعد من امكان اعادة الحياة اليهم .

(والاخرين) انتم ومن بعدكم الى قيام الساعة (لمجموعون) بطريقة واحدة وبقدرة واحدة (الى ميقات) الميقات الوقت المضروب للشىء والوعد الذى جعل له وقت[1] .

(يوم معلوم) لله تعالى لا يتقدم ولا يتأخر (ثم) بعد هذا الجمع (انكم ايها الضالون) المنحرفون عن الحق فالضلال الحيرة وعدم العلم هل يوصل الى الغاية ام لا .

(المكذبون) بالبعث والجزاء .

(لآكلون من شجر من زقوم) شجرة كريهة المذاق يعذب الله الكفرة باكلهم لها[2] .

(فمالئون منها البطون) لشدة ما اصابكم من الجوع .

(فشاربون عليه) اى على هذا الطعام المأكول (من الحميم) وهو الماء المتناهى فى الحرارة (فشاربون شرب الهيم) وهى الابل التى اصابها الهيام وهو داء يصيب الابل بعطش شديد فتظل تشرب ولا تروى[3] ، اى ان شربهم لا يطفىء حرارة طمئهم كما ان الماء لا يطفىء حرارة ظمأ الهيم .

(هذا) اشارة لما تقدم من الطعام والشراب (نزلهم) اى ما يقدم لهم اولا ووراءه صنوف من العذاب (يوم الدين) اى يوم الجزاء .

(نحن خلقناكم) اخبار بخلقه تعالى لهم فرع عليه التحضيض على التصديق اى صدقوا انا خلقناكم وفيها تقديم الفاعل فى المعنى وهو يفيد القصر .

(افرأيتم ماتمنون) المنى الذى تمنونه اى تخرجونه من مكانه الى الرحم الذى يتكون فيه الولد والمعنى اكذبتم انا خلقناكم فرأيتم ماتمنون اى فعلمتم المنى الذى تمنونه .

---

(١) الراغب الاصفهانى ، المفردات فى غريب القرآن (ص٥٢٩) .
(٢) انظر فتح القدير للشوكانى - بتصرف - (٥ : ١٥٤) .
(٣) انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ٥٤٧) .

(أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون ) .

لا يخلو الامر اما ان تكونوا خلقتموه فانزلتموه فى الرحم واما لا .

واذا لم تخلقوه فهل نشأ بنفسه من غير خالق ام له خالق .

ان المعدوم لا يوجد بغير موجد فلابد اذا من موجد له اذا لاموجد له الا القادر الموجود بالذات وهو نحن .

(نحن قدرنا بينكم الموت) اى اردنا مقدرين بينكم الموت بأجل معلوم فلو كانت الحياة التى كانت فى الجنين الناشىء من هذا المنى من لوازمه لما قبل الموت لكن قبل الموت بل قد مات اذا فليست الحياة من لوازمه بل عرض وافد اليه يمكن سلبه من يسلبه ؟ من اتى به فخلقه بعد ان لم يكن ؟ الله

من اعطى الحياة له ؟ الله

اذا نحن خلقناكم ـ نحن قدرنا بينكم الموت (ومانحن بمسبوقين ) اى بمغلوبين على ارادة الموت وتقديره .

(على ان نبدل امثالكم ) متعلق بمحذوف يدل عليه المقام تقديره قادرين على ان نبدل بكم امثالكم فيموت السالف ويأتى الخالف وتصير الحياة جيلا بعد جيل .

(وننشئكم ) يوم القيامة عند بعثنا لكم (فيما لا تعلمون ) اى فى كيفية لا تعلمونها (و) تالله (لقد علمتم النشأة الاولى ) فى اجمالها بآثارها من التلاقى والتلقيح والتطور فى رحم الام ثم الميلاد والتربية حتى بلوغ الرشد ، وعلمتم قدرتنا على ذلك .

(افلا تذكرون ) اى ( أ ) تكذبون بالنشأة الثانية بعد علمكم هذا فى النشأة الاولى .

(فلا تذكرون ) ان القادر على النشأة الاولى هكذا قادر على ان ينشئكم مرة اخرى فى كيفية تليق بها .

(افرأيتم ماتحرثون ) اى البذر الذى تحرثونه ، اى اكذبتم بنشأتكم الثانية (فرأيتم ماتحرثون ) .

(أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ) اى تنمونه من الارض وتجعلونه زرعا ناميا حاملا لثمره ، اى لا يخلو اما ان تكونوا انتم المنمون له او هو انمى

نفسه وكلاهما باطل لم يبق الا القادر عليه وهو نحن .

(لو نشاء لجعلناه حطاما ) اى ان بقاءه بمد زرعه وايجاده حتى يثمر فى مشيئتنا فلو نشاء جعله حطاما بعد زرعه وانمائه لجعلناه فهو فى مشئتنا وقدرتنا .

(فظلتم ) من الظل اى بقيتم فى الظل[1] (تفكهون ) اى تتناولون التفكه بالتوادو لانهم كانوا يرجون اكل ثمرة فحرموها ، قائلين (انا لمغرمون) اى اغرمنا الحرث بالتكلفة فلما نظروا التحطيم وانه استغرق كل ماحرثوه قالوا (بل نحن محرومون ) اى ممنوعون من نتاج هذا الحرث وهذا دليل على انهم لا يملكون من امره شيئا لا فى انمائه وفى بقائه ولا اثماره واذا لا بد له من فاعل مريد قادر فدل على وجود الله القادر على مايريد ومن ذلك البعث .

(افرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون ) .

القول فى هذه الايات كالقول فيما قبلها .

ان الانسان ليرى المطر ينزل من جهة السماء بعدان تغيم السماء بالسحب فيذوقه فاذا هو ماء عذب يرويه من الظمأ ويسقى منه حيوانه فيجده صالحا لسقيه ، ويسقى منه نباته فاذا هو يترعرع وينمو ويأتى بثمره الشهى ما الذى اتى بهذا السحاب الى هذا المكان ؟ بل من الذى جعله مشتملا على هذا الماء ؟

بل من الذى صفى هذا الماء مما يسبب له الملوحة ؟ من الذى جعل حياتنا وحياة الحيوان والنبات رهينة لتناوله ؟ اهذا علمنا ؟ لا

فدل ذلك على انه من خلقه وتدبيره تعالى فدل على ثبوت ارادته وقدرته على مايشاء ، ومن ذلك البعث .

(افرأيتم النار التى تورون ) اى تقدحون وتشعلون (أأنتم انشأتم ) اى اوجدتم (شجرتها ) التى تورى بها اى المولدة للاشتعال (التفاعل )

---

(١) قال الراغب فى المفردات فى غريب القرآن (ص٣١٤ ) : وظلت وظللت بحذف احدى اللامين يعبر به عما يفعل بالنهار ويجرى مجرى صرت ومثل هذا المعنى قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة ( ٣ : ٤٦١ ) .

او الوقيد بعد دوام الحرارة وارتفاع درجتها .

(ام نحن المنشئون ) اى لهذه الشجرة ومن ابرز الاشجار التى تتقد وهى خضر المرخ والعفار (نحن جعلناها تذكرة) اى ان الله جعلها لنا تذكرة لنتذكر بها نعمة الله علينا بوجودها صالحة لمنافعنا ونذكر بها وعيد الله الذى اوعده للذين لا يؤمنون بوجود الله وشكره على ما انعم .

(ومتاعا للمقوين )[1] المقوى الذى يفتقر الى مايقويه على استخدام الشيء فالذى يفتقر الى الغذاء يحتاج الى مايحول له النبات الى صالح للتغذية مثلا فيحتاج الى النار فى الطبخ واذا علونا اكثر نجد الالات تفتقر الى النار لتحويل المادة الى طاقة لصلاحيتها للانسان وحاجاته لذلك عملت المصانع المختلفة بواسطة النار.

ايكون كل هذا بلا مدبر قادر حكيم فعال لما يريد .

(فسبح باسم ربك العظيم ) اى نزه اى ابعد اسم ربك العظيم عما لا يليق به من ان لا يكون له مسمى قائما به تعالى فكل اسمائه لها مسمياتها القائمة به تعالى .

قوله تعالى (فلولا اذا بلغت) اى الروح (الحلقوم) وهو مجرى الطعام والمراد ان الانسان فى لحظات حياته الاخيرة (وانتم حينئذ ) اى حينئذ بلغت الروح الحلقوم (تنظرون ) الى صاحبكم وهو فى هذه الحالة (ونحن اقرب اليه منكم) بعلمنا وقدرتنا .

(ولكن لا تبصرون ) اى لا تدركون كوننا اقرب اليه منكم لجهلكم .

(فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين ) اى ان كان الامر لكم لا لنا وتصرفتم كما تشاءون فلم تريدوا لهم مسئولية جزائية ولا بعثا ولا نشورا فبرهنوا على ان الامر لكم بارجاعها الى الحياة مرة ثانية .

(ان كنتم صادقين ) فى انه لا يبعث ولا يسأل على حسب مشيئتكم وتدبيركم واذا كنتم لا تقدرون فليس لكم تصرف وليس التصرف الا لنا .

(فاما ان كان من المقربين ) الفاء تفصيلية وهذا شروع فى بيان حال الانسان بعد الممات بعد بيان حاله عند الوفاة .

---

(١) قال الالوسى فى روح المعانى (٢٧ : ١٥٠) : وقال عكرمة ومجاهد المقوين المستمتعين بها من الناس اجمعين .

(فروح ) اى فله روح وممناه الراحة من الدنيا والاستراحة من احوالها وقال الحسن الروح الرحمة، وقال مجاهد الروح الفرح (١) .

(وريحان ) اى ورزق كما روى عن ابن عباس ومجاهد والضحاك (٢) .

(وجنت نعيم ) اى ذات تنعم .

(واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين ) قيل هو على تقدير القول اى فيقال لذلك المتوفى منهم سلام لك ياصاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يسلمون عليك (٣) .

(واما ان كان من المكذبين الضالين ) اى المكذبين بما اخبرت به الرسل ومنه البعث والجزاء الضالين عن الهدى وهم اصحاب الشمال المتقدم ذكرهم .

(فنزل من حميم ) اى فله نزل وهو مايعد للنزول (من حميم ) وهو الماء الحار .

(وتصليه جحيم ) يقال اصلاه النار اذا جعله فيها .

(ان هذا ) المذكور فى السورة من بعث وجزاء (لهو حق اليقين ) اى محض اليقين اى انه واقع فلا مجاز ولا تمثيل .

(فسبح باسم ربك العظيم ) الفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها اى نزهه عما لا يليق بشأنه من ان لا يكون لاسمائه مدلولات .

هذا النص صورة متكاملة ليوم القيامة يصف احوال الناس فيها مما يؤكد ارادة حقيقة النص لا مجازه .

وكل ماذكر فى السورة من جزاء للمؤمنين والكافرين هو من خصائص الاجسام مما يؤكد كون البعث والجزاء للروح والجسد معا .

* * *

---

(١) فتح القدير للشوكانى ( ٥ : ١٦٢ ) .
(٢) روح المعانى للالوسى ( ٢٧ : ١٦٠ ) .
(٣) نفس المصدر .

## سورة الشعراء

النص القرآني .

قال تعالى : " قال افرأيتم ماكنتم تعبدون انتم وابآؤكم الاقدمون فانهم عدولى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، ربى هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الاخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم ، واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم " .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الشعراء نزلت بعد سورة الواقعة .

بيان النص .

( قال ) اى ابراهيم عليه السلام محاجا لقومه ( افرأيتم ) الهمزة للانكار والفاء عاطفة على مقدر يرشد اليه المقام اى اتأملتم فرأيتما كنتم تعبدون من الاصنام ( انتم وآباؤكم الاقدمون ) آلهة .

( فانهم عدولى ) الفاء فصيحة ، اى اذا كنتم ترون انهم آلهة فانهم عدولى ( الا رب العالمين ) استثناء منقطع من ضمير ( انهم ) اى لكن ( رب العالمين ) هو الذى يعلم انى اعبده فليس لى عدوا ( الذى خلقنى ) صفة لـ ( رب العالمين ) .

( فهو يهدين ) اى لخلقه اياى فهو يهدينى وحده جل شأنه لما خلقنى له فالفاء مرتبة للهداية على الخلق ، والمعنى ان رب العالمين الذى خلقنى لم يخلقنى عبثا بل لحكمة وغاية ولن يتركنى هملا فهو يهدينى للغرض الذى خلقنى له .

( والذى يطعمنى ويسقين ) اى ومن مقتضى ربوبيته انه ( يطعمنى ويسقينى ) فهو متول للانعام على خلقه .

(واذا مرضت فهو يشفين ) اى يبرئنى من المرض وانما نسب المرض لنفسه لانه عارض على انعام الله عليه وللادب مع الله .

(والذى يميتنى ) يسلب الحياة منى لانه الذى اوجدنى من العدم فلا يقدر على سلب الحياة الا من قدر على ايجادها ، ونسب الاماتة لله كما نسب الحياة لان الموت مطرد مع الاحياء جميعا سنة من سنن الله الثابتة ، وهو دليل على ان الحياة ليست اصلية حتى يكون الموت عارضا فانه تعالى قدر الحياة بعد ان لا حياة وسلب الحياة بعد الحياة لتكون بعد ذلك الحياة الكبرى ( وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون )[1] .

(ثم يحيين ) بعد الموت للجزاء على الاعمال فان القادر على الايجاد من العدم قادر على الاعادة والاحياء بعد الاماتة .

(والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى ) اى ارجو والطمع نزوع النفس الى الشىء رغبة فيه[2] ، والمراد بالخطيئة ، مطلق الخطيئة والمطلق المضاف يعم اى جميع خطاياى .

(يوم الدين) اى يوم الجزاء على الاعمال ومراد ابراهيم - عليه السلام - بذكر هذه الاوصاف التنبيه على انه لا يستحق العبادة الا من يفعل هذه الافعال .

ثم اتجه الى ربه داعيا فقال (ربى هب لى حكما ) اى علما وفهما .

(والحقنى بالصالحين ) اى فى الدرجة والمنزلة العليا .

(واجعل لى لسان صدق فى الاخرين ) اى اجعل لى ثناء حسنا فى الاخرين الذين يأتون من بعدى الى يوم القيامة ، وقد استجاب الله دعاءه (وتركنا عليه فى الاخرين )[3] .

(واجعلنى من ورثة جنة النعيم ) اى ممن تؤول اليهم جنة النعيم .

(واغفر لابى انه كان من الضالين ) وكان استغفاره لابيه قبل ان يتبين له انه لا يهتدى .

(ولا تخزنى ) يقال : خزى يخزى خزاية اى استحيا[4] .

---

( ١ ) سورة العنكبوت : ٦٤

( ٢ ) انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ٣٠٧ ) .

( ٣ ) سورة الصافات : ١٠٨

( ٤ ) النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ( ٢ : ٣٠ ) .

( يوم يبعثون ) اى يبعث الناس للجزاء على الاعمال .

( يوم لا ينفع مال ولا بنون ) ، ( يوم ) بدل من ( يوم يبعثون ) والمعنى ان يوم القيامة لا نفع فيها لغير العمل الصالح فقد نفى النفع عن المال ايا كان نوعه ولا ينفع الا قرباء قريبهم والاصدقاء صديقهم نبه على هذا بذكر اخص واقرب انواع الاقرباء وهم البنون .

(الا من اتى الله بقلب سليم ) من آفة الكفر والشرك والنفاق .

فى النص ان البعث والجزاء مما آمن به ابراهيم عليه السلام .

ويؤخذ من تكرار الحديث عن البعث والجزاء ان المراد حقيقة النص لا مجازه مما يدفع فى وجه اصحاب التمثيل .

* * *

## سـورة النمـل

النص القرآني .

قال تعالى : " امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون ، بل ادراك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ، وقال الذين كفروا اءذا كنا ترابا وآباؤنا اءنا لمخرجون ، لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ، ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ، وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ، وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين " .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة النمل نزلت بعد سورة الشعراء .

بيان النص .

(ام من يبدأ الخلق ) معطوف على ما تقدم من حجاج القرآن للمشركين بذكر آيات قدرة الله تعالى الفائقة .

(ثم يعيده ) بعد موته بالبعث للجزاء فمن قدر على البدأ قدر على الاعادة ، اذا شاء وكيف شاء .

(ومن يرزقكم من السماء ) يشمل كل منفعة تأتي من جهة السماء من مطر وضوء وحرارة وغير ذلك (والارض) يشمل كل منفعة من الارض من ماء وهواء ومن نبات وحيوان ومن معادن وغير ذلك (أ اله مع الله ) استفهام انكاري .

هاتوا برهانكم على هذا الزعم (ان كنتم صادقين ) في ادعائكم وانهم لعاجزون عن البرهان .

(قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب) اى لا احد فى السموات والارض يعلم الغيب (الا الله) لفظ الجلالة فاعل يعلم والا ستثناء مفرغ، ومن فى السموات مفعول ليعلم و(الغيب) بدل .

والمعنى لا يعلم العقلاء فى السموات والارض المشتمل عليهم الغيب الا علام الغيوب وهو الله تعالى .

(وما يشعرون ايان يبعثون) اى متى يبعثون من القبور مع كونه مما لا بد منه ومن اهم الامور عندهم .

(بل ادراك علمهم فى الاخرة) ادراك اصله تدارك فادغمت التاء فى الدال فسكنت فاجتلبت لها همزة الوصل، والدرك اللحاق والوصول الى الشيء ادركته ادراكا ودركا[1] . ومنه تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك.

والمراد ادرك النفى الاثبات فلحق به وادرك الاثبات النفى فلحق به فكانت النتيجة (بل هم فى شك منها) اضراب انتقالى من بيان تدارك علمهم فى شأن الاخرة الى بيان شكهم (منها) اى من اجلها او من وقوعها .

(بل هم منها عمون) اضراب انتقالى من بيان شكهم من الاخرة الى بيان انهم من اجلها او من اجل انكارها صاروا عمها لا يدركون اوجه الادلة على ثبوتها فيتخبطون فى الشبه التى يحاولون بها نفى الاخرة وما فيها من بعث وجزاء .

(وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا) اى كانوا ترابا كذلك نخرج . (ائذا) اى ائننا وآباؤنا (لمخرجون) من القبور احياء .

والاستفهام انكارى اى لا نخرج، فهم ينكرون الوقوع بعد ان كانوا هم وآباؤهم ترابا لانهم قد فقدوا - فى نظرهم - جميع ما به تكون الحياة وغفلوا عن ان الله قادر على ان يحييهم بعد ان كانوا ترابا وانكروه لاعتقادهم عدم علم الله باجزائهم المتفرقة وغفلوا عن ان الله علام الغيوب وغفلوا عن الحكمة من خلق الخلق، وغفلوا عن ان القول بعدم البعث يستلزم نسبة العبث الى الله تعالى ويستلزم نسبة الظلم اليه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

---

(١) انظر النهاية فى غريب الحديث والاثر، لابن الاثير (٢ : ١١٤) .

(لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ) اى وعدنا هذا الوعد بالبعث والجزاء نحن وآباؤنا قبل وعد محمد لنا به ، فلم نر من ذلك شيئا ، اوليس الامر جديدا علينا .

(ان هذا ) اى ماهذا الذى يقوله محمد - صلى الله عليه وسلم - (الا اساطير الاولين ) جمع اسطورة[1] لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك اى فلا يلزمنا تصديقه ولا اتباعه لانه ليس من عند الله كما يزعم هذا قولهم .

والجواب : (قل ) يامحمد (سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ) اى الذين كذبوا رسل الله ولم يؤمنوا بالبعث والجزاء ان عاقبتهم الهلاك والدمار فان كذبتم فسوف ينالكم مانالهم من العذاب لان سبب الاهلاك واحد ثم ان هذا الذى اصاب المجرمين قبلهم نوع جزاء فهو يدل على قانون الجزاء على الاعمال ووقوعه فى دار الدنيا وهى دار عمل لا دار جزاء دليل على وقوعه فى الاخرة وهى دار الجزاء بالاولى .

(ولا تحزن عليهم ) اى على تكذيبهم (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ) لك كاجتماعهم فى دار الندوة واشارة بعضهم الى النفى وبعضهم الى القتل وغير ذلك من انواع مايمكرونه لك .

(ويقولون متى هذا الوعد ) بالعذاب مطلقا يشمل الدنيوى والاخروى لان الكل موعود به ووقوع واحد دليل على وقوع الاخر وعاقبة المجرمين من الامم السابقة فى الدنيا ثابتة بالمشاهدة فثبت الجزاء على الاعمال .

(ولا تحزن عليهم ) لما وقع منهم من التكذيب (ولا تكن فى ضيق ) الضيق الحرج .

(مما يمكرون ) اى من مكرهم بك فان الله تعالى يعصمك من الناس .

(ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ) سؤال استهزاء واستبعاد لوقوع الموعود به لا سؤال استرشاد وطلب للمعرفة بدليل بقائهم على الكفر .

(قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون ) اى قل يامحمد

---

(١) قال الراغب فى المفردات فى غريب القرآن (ص٢٣٢ ) : واما الاساطير فقد قال المبرد هى جمع اسطورة نحو ارجوحة واراجيح واثفية واثافى واحدوثة واحاديث .

جوابا لهم عسى ان يكون هذا العذاب الذى توعدون به تبعكم ولحقكم لان (ردف) معناه تبع.[1]

(وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون) ومن فضله على الناس تأخيره عقوبة المجرمين وامهالهم وتمكينهم من التوبة (ولكن اكثرهم لا يشكرون) اى لا يعرفون حق فضله عليهم فيشكرونه.

(وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) اى ما يخفون من عداوتك وغير ذلك من انواع الكفر وما يظهرونه من ذلك.

(وما من غائبة فى السماء والارض) اى وما من شىء خفى شديد الخفاء فيهما يغيب علمه عن الخلق (الا فى كتاب مبين) وهو اللوح المحفوظ.

والمراد اثبات شمول علم الله وانه يعلم كل شىء بكلياته وجزئياته فلا يستحيل عليه احياء الموتى بعد تفرق اجزائهم وصيرورتهم ترابا لان كل ذلك معلوم لله تعالى.

وفى النص:

(١) الاستدلال بآثار القدرة الالهية المشاهدة فى الكون على قدرته تعالى على البعث.

(٢) شبهة منكرى البعث هى فى استبعادهم احياء الاموات وقد صاروا ترابا.

(٣) الاستدلال بمصائر الاولين على البعث.

(٤) بيان شمول علم الله تعالى وانه لا يغيب عنه شىء.

* * *

---

(١) قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (٣: ٥٠٣): الراء والدال والفاء اصل واحد مطرد يدل على اتباع الشىء والترادف التتابع، وقال الراغب فى المفردات فى غريب القرآن (ص١٩٣): الردف التابع.

## سـورة الاسـراء

النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) "وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا ، يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا" .

( ٢ ) "يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ، ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا " .

( ٣ ) " من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الاسراء نزلت بعد سورة القصص .

بيان النص .

قوله (وقالوا ) اى الكفار المنكرون للبعث (ائذا كنا عظاما ورفاتا ) الهمزة للانكار و(اذا ) متعلق بمحذوف تقديره نبعث .

والرفات ماتفتت من التبن ونحوه (١) .

---

( ١ ) المفردات في غريب القرآن للراغب (ص ١٩٩ ) .

(ائنا لمبعوثون ) مرادهم التأكيد على انكار قضية البعث باظهاره في صورة مستحيلة - في نظرهم - اى لا نبعث لانا فقدنا جميع ما به تكون الحياة . ومن كان كذلك لا يعاد حيا .

وجاء الجواب تلقينا للنبي صلى الله عليه وسلم (قل ) يامحمد لهم (كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم ) اى تحولوا الى ابعد عن قبول الحياة من العظام والرفات الى الحجارة او الى الحديد او الى اى خلق آخر غير الحجارة والحديد يعظم في صدوركم ويبعد عن قبوله للحياة فستعادون كالخلق الاول على كل حال فرضتم تحولكم اليها .

(فسيقولون من يعيدنا ) الفاء فصيحة اى ان قلت لهم ذلك (فسيقولون من يعيدنا ) اى من القادر على اعادتنا سؤال استنكار لا سؤال استرشاد اى لا يقدر احد على اعادتنا اذا كنا كذلك .

الجواب : (قل الذى فطركم اول مرة) اصل الفطر الشق طولا وفطر الله الخلق وهو ايجاده الشيء وابداعه على هيئة مترشحة لفعل من الافعال .. الخ(١)

قلت : ومعنى (الذى فطركم اول مرة) الذى اخرجكم من العدم الى الوجود اول مرة ابداعا من غير سابقة فالذى فطرهم من غير سابقة قادر على فطرهم مرة ثانية على وفق ابداعه الاول وهو عليم بجميع اجزائهم وعناصرها وتحولها في تحليلها وتركيبها لا يخفى عليه شيء منها فكيف لا يقدر على اعادتها بمشخصاتها وخصائصها .

وينتقلون من السؤال عن من ؟ الى السؤال عن متى ؟ استبعدوا الزمن اذ من ذهب لا يرجع في عهوده الطويلة فمتى يكون هذا ؟ (ويقولون متى هو) اى زمن البعث الذى تذكره لنا (قل عسى ان يكون ) وقوعه او زمنه (قريبا ) ترجى لهم ان يكون وقوعه قريبا اذ هو محقق وعدم العلم بوقته لا يضر في وقوعه مهما طال الوقت ولا يعلم هذا الوقت الا الله (يوم يدعوكم ) اى يناديكم اى يكون البعث يوم يدعوكم (فتستجيبون ) لدعوته (بحمده ) اى متلبسين بحمده (يوم ندعو) اى اذكر يوم ندعو وهو يوم

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (ص ٣٨٢) .

القيامة (كل اناس) يعم المؤمن والكافر (بامامهم) الجار والمجرور متعلق بندعوا والامام هو كل من يؤتم به فامام المؤمنين انبياؤهم ورسلهم والقائمون فيهم بامر النبوة والرسالة وتبليغ الكتاب، وامام الكافرين هم رؤساؤهم في الضلال الصارفون لهم عن دين الله الداعون لهم الى خزيه (١).

(فمن اوتى) اى من المدعوين (كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم) لكمال الانس والسرور (ولا يظلمون فتيلا) اى لا ينقصون قدر فتيل وهو الحبل الدقيق الذى يكون في شق النواة (٢).

(ومن كان في هذه) الحياة الدنيا (اعمى) اى فاقد للبصيرة لاتباعه هواه واستجابته لدواعي الغريزة او للتعصب الذى حال بينه وبين اتباع الحق (فهو في الاخرة اعمى) اى اعمى البصر كما في قوله تعالى (ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) (٣).

(واضل سبيلا) اى من الاعمى المعروف في الدنيا لان الاعمى المعروف في الدنيا يهتدى الى الحق وهذا لا يهتدى الى شيء في هذا الموقف. (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) اى راجيا ان يبعثك مقام الشفاعة العظمى، وفي هذه الاية وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ببعثه في مقام يحمد له الناس جميعا وهذا دليل على البعث في الجملة.

قوله (من يهد الله فهو المهتد) اى من يرد الله هدايته (فهو المهتد) الى الحق.

(ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه) اى ومن يرد الله اضلاله (فلن تجد لهم اولياء) ينصرونهم (من دون الله) فيهدونهم الى الحق

---

(١) قال الراغب في المفردات في غريب القرآن (ص٢٤): والامام المؤتم به انسانا كان يقتدى بقوله او فعله او كتابا او غير ذلك محقا كان او مبطلا.

(٢) قال في القاموس المحيط (٤: ٢٨): والفتيل حبل دقيق من ليف ...، والسحاة التي في شق النواة ومافتلته بين اصابعك من الوسخ، وقال الراغب في المفردات: ويضرب به المثل في الشيء الحقير (ص٣٧١).

(٣) سورة طه: ١٢٤ - ١٢٥

الذى اضلهم الله عنه او الى طريق النجاة .

(ونحشرهم) اى بعد بعثهم فى موقف الحساب (يوم القيامة على وجوههم) هذا نوع مما يعذب الله به الكفار يوم القيامة، اخرج الشيخان[1] عن انس قال : (ان رجلا قال : يانبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟

قال اليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة) قال قتادة بلى وعزة ربنا .

فالحديث دليل على ان المراد بحشرهم على وجوههم حقيقة النص .

وهذه الكيفية فى الحشر دليل على حشر الاجساد وجزائها .

وقوله (عميا) منتصب على الحال (وبكما وصما) معطوفان عليه، والابكم الذى لا ينطق والاصم الذى لا يسمع، وهذه حال يبعثون عليها فيجمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع مع سحبهم على وجوههم ووراء ذلك (مأواهم) اى المكان الذى يأوون اليه (جهنم كلما خبت) اى سكن لهبها وخمد (زدناهم سعيرا) بتسعيرها مرة ثانية (وذلك) اى العذاب (جزاؤهم) الذى استحقوه (بانهم كفروا بآياتنا) اى بسبب كفرهم بآياتنا التنزيلية منها والتكوينية .

وهذه نصوص دالة على البعث الجسمانى والعذاب الجسمانى .

(وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا) تقدم تفسير الاية قريبا فى هذه السورة .

ووجه اعادة الاية والله اعلم هو انهم يتمسكون بهذه الحجة غاضين النظر عن كشف شبهتها فيعيدها الله مع حكاية انكارهم اصل البعث اى انهم لا شبهة لهم الا هذه الشبهة الداحضة .

ولما ذكر سبحانه بعض ماينال الكافرين من العذاب بين انه سبحانه لا يظلم احدا بل يجازى كلا بعمله لذا ناسب ان يذكر الجرم الذى استوجبوا به العذاب .

---

(١) اخرجه البخارى فى كتاب الرقاق من صحيحه (١١ : ٣٧٧) وفى تفسير سورة الفرقان منه (٨ : ٤٩٢) ، فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى واخرجه مسلم فى صحيحه (٨ : ١٣٥) .

قوله (او لم يروان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم) تقدم بحث هذا الدليل في سورة (يس) .

(وجعل لهم اجلا لا ريب فيه) فلم يعاجلهم بل مكنهم من النظر في الدليل واعطاهم الزمن الكافي لذلك .

(فأبى الظالمون الا كفورا) من الكفر اى جحود آيات الله وآيات البعث .

بين في هذا النص امكان البعث فاحتج له بامرين :

الاول : القدرة الالهية على كل مايشاء .

الثاني : الاستدلال بالنشأة الاولى على الثانية .

وفيه ان البعث والجزاء جسمانيان لذكر اخذ المؤمنين كتابهم باليمين وهي من خصائص الاجسام ، ولقوله تعالى في حق الكفار (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) وهذه الاوصاف من خصائص الاجسام وفي كل هذا رد على من يقول بالتمثيل .

* * *

## سـورة هـود

### النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) " ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ، ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن مايحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون " .

( ٢ ) وقال تعالى : "وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ان فى ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ومانؤخره الا لاجل معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد ، واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة هود نزلت بعد سورة يونس .

### بيان النص .

ثم نزلت سورة هود وفيها قوله تعالى ( ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ) ففى هذه الاية حكاية قول جديد للكفار فى انكار البعث اذ قالوا ( ان هذا الا سحر مبين ) اى ماهذا الذى اتيت به دالا على تأكيدك لوقوع البعث بعد الموت الا سحر مبين فاق قدرتنا على تحديك بمثله او بسورة منه فكان شيئا عظيما خفيت اسبابه علينا فكان سحرا مبينا بينا لاريب فى ذلك فما هو الا سحر مبين لاغير سحر من وحى انزل عليك .

(ولئن اخرنا عنهم العذاب) الموعود به من عذاب الدنيا والاخرة .

(الى امة معدودة) اى الى اجل معدود وامد محصور .

(ليقولن) تكذيبا واستهزاء (مايحبسه) اى ما الذى يمنعه من الوقوع الان اى لو كنت صادقا فى اننا سنعاقب على اعمالنا وتكذيبنا اياك وقد فعلنا لنزل بنا العذاب ولكنه لم ينزل بنا فما الذى يحبسه ويمنعه من النزول بنا ؟

(الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) اى العذاب الموعود به (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) .

(وكذلك) اى مثل ذلك الاخذ (اخذ ربك) الذى لا يتخلف (اذا اخذ القرى وهى ظالمة) اى مكذبة لرسلها (ان اخذه اليم شديد) لا مفر منه ولا انفكاك عنه .

(ان فى ذلك) الذى وقع للامم قبلكم (لآية لمن خاف عذاب الاخرة) التى قام دليل الامكان العقلى عليها ودليل اثبات الرسل لها .

(ذلك يوم مجموع له الناس) المراد به يوم القيامة المدلول عليه بذكر الاخرة .

والمراد (مجموع له الناس) للمحاسبة والجزاء ولا يكون هذا الجمع الا باعادة الاموات احياء (وذلك) اى اليوم (يوم مشهود) يشهده الناس جميعا .

(ومانؤخره) اى ذلك اليوم (الا لاجل معدود) اللام فى قوله (لاجل) للتوقيت والمعنى ومانؤخر يوم القيامة الا لمجىء وقت اجل معدود منا اخرنا يوم القيامة له لاعيثا اخرناه ولا عجزا .

(يوم يأت) ذلك اليوم المؤخر .

(لا تكلم نفس) اصله لا تتكلم ،وهذا فى موقف من مواقف ذلك اليوم الممتد الطويل ،كما جاء انها تتكلم فى موقف او مواقف اخر .

(الا باذنه) فى التكلم لمن شاء وفى اى وقت شاء .

(فمنهم) اى من المجموعين فى ذلك اليوم (شقى) وهو المجرم (وسعيد) وهو المؤمن .

(فاما الذين شقوا ) بسبب اعمالهم (ففى النار) مستقرين .

(لهم فيها زفير وشهيق ) قال ابن عباس : الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف، وعلى هذا يكون الزفير والشهيق ناتج عن تأذى الكافر بالعذاب .

(خالدين فيها مادامت السموات والارض) اى مدة دوام السموات والارض كناية عن التأبيد جارية مجرى كلام العرب فى تأبيدها للاشياء كقولهم لا افعل كذا مالاح كوكب وما اضاء الفجر ومادامت السموات والارض ، ونحو ذلك .

(الا ماشاء ربك ) قيل دخولها يريد ان هذا اليوم معد للجزاء فيخلد فيه الاشقياء الابد الا المدة التى شاءها الله لهم قبل دخولهم فيها .

(ان ربك فعال لما يريد ) من تخليدهم فى جهنم بعد دخولهم فيها .

(واما الذين سعدوا ففى الجنة) اى مستقرهم (خالدين فيها مادامت السموات والارض) اى ابدا كما قلنا .

(الا ماشاء ربك ) اى مدة حشرهم وحسابهم قبل دخولها اما بعد دخولهم فالى الابد (عطاء غير مجذوذ ) اى غير منقطع اى بعد دخولها .

وهذا دليل غير منكر للحشر والحساب والجزاء للاجساد عذابا وتنعما فالقائلون بالتمثيل كل هذا التكرير يدفع فى وجوههم .

* * *

## سورة الحجر

النص القرآني .

قال تعالى : " وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ، ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ، ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الحجر نزلت بعد سورة يوسف .

بيان النص .

قوله (وانا لنحن نحيي ونميت) ، (انا) اصله اننا (نحن) ضمير المتكلم المعظم نفسه وهو فاعل لنحيي في المعنى قدم عليه لافادة الحصر اى نحن لاغيرنا والحياة والموت قائم في الوجود في جميع الاحياء يحتاج لفاعل الحياة وفاعل الموت وهو شاهد على قدرته تعالى النافذة فيما اراد .

(ونحن الوارثون) اى الباقون بعد موت الاحياء .

(ولقد علمنا) اى وتالله لقد علمنا ازلا (المستقدمين) اى من الاجيال منذ بدء الخليقة ـ حياة وموتا .

(منكم) يابنى آدم (ولقد علمنا) ازلا (المستأخرين) منكم حياة وموتا ، فكل امة وكل جيل وكل فرد يأتي في زمنه المحدد له في علم الله وينتهي كذلك وانما نص على علمه للمستقدمين والمستأخرين منهم الى قيام الساعة لدفع قول من قال ان علمه لم يحط بجميع افراد البشر فكيف يعيدهم بعد ان ضلوا في تراب الارض وهذا لعموم علمه تعالى بالكائنات جميعها .

البشر من الكائنات والله يعلم جميع الكائنات من الازل فالله يعلم جميع البشر متقدمين ومتأخرين ومن كان كذلك كان محيطا بكل اجزائهم ولو ضلوا في تراب الارض واذ هو قادر على كل الكائنات فهو قادر على جمع اجزائهم واحيائها واعادتهم مرة ثانية وبذلك جاءت جميع الرسل منذرة

بهذا البعث ووقوعه .

(ان ربك) اى الموصوف بما تقدم من انه الذى يحيى الموتى وهوالباقى بعد اماتته الاحياء العالم بخلقه علما دقيقا شاملا محيطا (هو) الذى (يحشرهم) بعد بعثهم لاغيره ومن كان بهذه الصفات لا يستبعد بعثه لاجسام قد بليت ورمت .

(انه حكيم) فى تدبيره فلا ينسب اليه العبث ولا يجوز عليه والحكمة تقتضى ان يبعث الناس ويجازى كل عامل على عمله .

(عليم) فلا يغيب عن علمه شيء .

(ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) اى وتا لله لقد خلقنا الانسان ، والصلصال من الحمأ المسنون ميت لا روح فيه ولم نحله الحياة بعد فقدر الله آدم الانسان الاول من هذا الحمأ المسنون وتركه حتى صار صلصالا ونفخ فيه الروح فكان حيا ، هل كان ذلك بخالق ام لا ؟

لا شك انه اثر خلق واحياء .

ومن فعل ذلك هو المتصرف فى هذا الوجود وهو الله تعالى .

بين النص ادلة ثلاثة على البعث :

(١) العلم المحيط يقتضى ان لا يفوته شيء من اجزاء الانسان فبطل به ادعاء الفلاسفة عدم علم الله بالجزئيات الذى يجعلونه مستندا لانكارهم البعث .

(٢) الحكمة تقتضى البعث .

(٣) القدرة على احياء الموتى بدليل القدرة على خلقه من العدم .

وبهذا يتم الاستدلال على حتمية البعث حقيقة .

* * *

## سورة الانعام

النص القرآني .

قال تعالى : " انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون " .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الانعام نزلت بعد سورة الحجر .

بيان النص .

(انما يستجيب) لداعي الحق (الذين يسمعون ) سماع قبول وتدبر لايات الله .

(والموتى ) جميعا مستجيبين وغير مستجيبين ( يبعثهم الله ) للجزاء والحساب .

(ثم اليه يرجعون ) فيوفى كلا جزاءه عمله خيرا او شرا .

في هذا النص اشارة اجمالية للبعث بعد الموت .

* * *

## سورة الصافـات

النص القرآنى .

قال تعالى :

( ١ ) "فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب ، بل عجبت ويسخرون ، واذا ذكروا لا يذكرون ، واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين ، اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنـــا لمبعوثون ، او اباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هى زجـرة واحدة فاذا هم ينظرون" .

( ٢ ) " قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقـــين اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمدينون ، قال هل انتم مطلعـــون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لترديـن ولولا نعمـة ربى لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى ومانحـن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الصافات نزلت بعد سورة الانعام .

بيان النص .

سبق ان وصف الاله الواحد بانه رب السموات والارض ومابينهما وكان ربا لها لانه اوجدها بعد العدم ، ودبر امرها بربط الارض بالسماء ، وكـان من آثار هذا الربط وجود المشارق فى جميع ايام العام ، وكذلك كان الربـط له آثار ظاهرة فى انارة ظلام الارض وزينة السماء الدنيا .

(انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مـارد ) وذلك بقذف الشياطين منعا لاستراق الاخبار من الملائكة حين ينزلـــون فى العنان - بالشهب ، والشهب غير النجوم هذا خلق الله فى انشائه مـن العدم وتدبيره على هذا الوجه .

الانسان مخلوق من العناصر الارضية بواسطة الطين اللازب فتصويره هين ولم يبق بعد التصوير الا نفخ الروح فيه .

فايهما اشد فى الخلق المخلوق من العدم على هذا النظام الكامل فى هذا الوجود او تصوير الطين بصورة الانسان ونفخ الروح فيه .

(فاستفتهم) اى فاطلب فتياهم فى ذلك (اهم اشد خلقا) اى اشد صعوبة فى الايجاد والتدبير (ام من خلقنا) اى ام هذه المخلوقات جميعها .

ثم بين ان خلق الانسان اسهل بكثير من هذه المخلوقات بقوله (انا خلقناهم من طين لازب) (١) والطين اللازب الملتصق .

وفى هذا دليل من القدرة على النشأة الاولى على القدرة على النشأة الثانية بعد بيان الدليل على القدرة الالهية على ماهو اعظم خلقا من الانسان فكيف بالانسان اذ ان هذا الجسم لو لم يكن قابلا للحياة بقدرة الله تعالى لما قبلها عندما كان طينا لازبا فما دام انه قبلها والحالة هذه فلا يبقى ريب فى قبوله لها مرة ثانية .

والقادر على خلق الحياة فيه اولا لم يزل قادرا اذا فالاعادة امر ممكن عقلا وقد اخبر الانبياء بوقوعها فيجب ان تقع .

ثم اضرب عن هذا منتقلا الى بيان حال النبى صلى الله عليه وسلم وبيان حالهم فقال (بل عجبت) يامحمد من آيات الله الدالة على وجوده وتدبيره فآمنت بها .

(ويسخرون) اى والحال انهم يسخرون ويستهزئون من آيات الله الدالة على وجوده وتدبيره فلا يؤمنون بها .

(واذا ذكروا) بالادلة القاطعة الملزمة (لا يذكرون) اى لا يذكرونها بل يظلوا ساخرين .

(واذا رأوا آية) من الايات الخارقة لمجرى السنن الكونية الدالة على صدقك (يستسخرون) اى يطلب بعضهم من بعض السخرية بها .

(وقالوا) معارضين لما رأوا من الايات (ان هذا) اى ماهذا الذى رأيناه من خارق العادة (الا سحر) خفيت علينا اسبابه لا انه آية من آيات الله (مبين) ظاهر انه سحر ثم استدلوا على كون الاية التى رأوها سحرا بقولهم انصدق الاية الدالة على رسالته ونكذب انفسنا فى ادعائه المحال من قوله تبعثون بعد الموت وبعد كونكم ترابا وعظاما (أئذا متنا

---

(١) قال فى القاموس المحيط : اللزوب اللصوق والثبوت ( ١ : ١٣٢ ) .

وكنا ترابا اءنا لمبعوثون ) هذا محال لا نصدقه ولا نؤمن به .

(او آباؤنا الاولون ) اى نبعث وآباؤنا الاولون يبعثون كذلك ، يريدون زيادة الاستبعاد لان اباءهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل فى نظرهم .

(قل ) جوابا لهم (نعم) تبعثون ، نزّل سؤالهم منزلة المسترشد فأجابهم بنعم .

(وانتم داخرون ) اى اذلاء صاغرون ، فليس ذلك بامر محال ولا رجع بعيد على قدرتنا .

(فانما هى زجرة واحدة) الفاء فصيحة اى لا تستصعبوها (فانما هى زجرة واحدة) والزجرة الصيحة ومنه زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها(١) .

(فاذا هم ينظرون ) اى احياء يبصرون ماكانوا يوعدونه .

وحاصله انه منع من ان كونهم ترابا وعظاما مانع من بعثهم .

كيف وانه فى غاية اليسر والسهولة (فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون ) واذا بطل دليلهم بقيت آيات الله الدالة على وجوده وقدرته وان خلقهم ليس اشد من خلق السموات والارض وما بينهما والايات الخارقة الدالة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله : نعم بعد ثبوت الرسالة دليل نقلى مخبر بوجود البعث فوجب اعتقاده .

(قال قائل ) اى من اهل الجنة (انى كان لى قرين ) فى الدنيا .

(يقول ) منكرا على ايمانى بالبعث والجزاء (ائنك لمن المصدقين) بالبعث بعد الموت ، ثم بين وجه انكاره فقال (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون ) اى محاسبون مجزيون باعمالنا .

(قال ) اى الله سبحانه وتعالى .

(هل انتم) يا اهل الجنة (مطلعون ) على النار .

(فاطلع) المؤمن الذى كان يقول (انى كان لى قرين ) (فرآه ) اى فرأى قرينه الذى يسأل عنه (فى سواء الجحيم ) اى فى وسطها ثم خاطبه

---

( ١ ) قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة ( ٣ : ٤٧ ) : الزاء والجيم والراء : كلمة تدل على الانتهار وقال الراغب فى المفردات فى غريب القرآن (ص ٢١١ ) : الزجر طرد بصوت يقال زجرته فانزجر قال : ( فانما هى زجرة واحدة ) ثم يستعمل فى الطرد تارة وفى الصوت اخرى .

قائلا (تالله ان كدت لترديني ) اى لتهلكني لو اتبعتك وكذبت بالبعث والجزاء وكفرت بما جاءت به الرسل من عند الله .

(ولولا نعمة ربي ) يعني نعمة الهداية الى الحق والايمان بما جاءت به الرسل ومن ذلك البعث والجزاء .

(لكنت من المحضرين ) اى معك في النار.

(افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى ) الهمزة للاستفهام التقريري والفاء عاطفة على محذوف اى انحن مخلدون (فما نحن بميتين الا موتتنا الاولى ) التي كانت في الدنيا (ومانحن بمعذبين ) اى كما يعذب الكفار.

(ان هذا لهو الفوز العظيم ) الذى لا فوز يعظمه ويفوقه .

في هذا النص بيان امكان البعث بدلالة آثار القدرة الالهية المشاهدة في الكون وفيه الدليل النقلي على البعث في قوله (قل نعم وانتم داخرون ) بعد اثبات الرسالة واثبات الامكان فيجب ان يقع .

وفيه بيان سهولة البعث وابطال دليل منكري البعث بقوله (فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب) .

وفي قوله تعالى من (قال قائل انى كان لى قرين ..)الى قوله تعالى (ان هذا لهو الفوز العظيم ) في هذا دليل ان البعث والجزاء للروح والجسد معا وهذا رد على من يقول بالتمثيل .

* * *

## سورة لقمـــان

النص القرآنى .

قال تعالى : " ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير ) .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة لقمان نزلت بعد سورة الصافات .

بيان النص .

( ماخلقكم ) اى ليس خلقكم ايها الناس جميعا ( ولا بعثكم ) بعد موتكم من قبوركم احياء جميعا فى قدرة الله تعالى ( الا كنفس واحدة ) اى كخلـــق نفس واحدة وبعث نفس واحدة اى ماخلقكم الا كخلق نفس واحدة ولا بعثكـــم الا كبعث نفس واحدة .

والخلق والبعث فى قدرة الله سواء فاذا ثبتت قدرته على الخلـــق ابتداء ـ وهذا مما يقرون به ـ لزم الاقرار بقدرته على البعث اذ لا فـــرق بالنسبة للقدرة الالهية .

( ان الله سميع بصير ) اى كما هو سميع لاقوالهم بصير بافعالهـــم كسمعه وبصره بالنسبة الى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته علـــى نفس واحدة .

* * *

## سورة سبأ

النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) "وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين" .

( ٢ ) "وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى مابين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لاية لكل عبد منيب" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة سبأ نزلت بعد سورة لقمان .

بيان النص .

(وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) ال للعهد والمعهود الساعة الموعود بها وهى ساعة البعث ونفى الاتيان بها لهم تكذيبا للوعيد بها .

(قل) يامحمد (بلى) ايجاب للنفى اى تأتيكم اكد ذلك بقوله (وربى لتأتينكم) وعبر بلفظ (رب) والرب هو المالك المتصرف فى ملكه كما يشاء واضافه لضمير المتكلم وهو الرسول المبلغ لهم الوعيد اى ومالكى المتصرف فى الذى ارسلنى بوعيده لكم (لتأتينكم) لانه ارسلنى بالوعيد بها ومحال ان يوعد بما لا يكون .

ووصفه بكونه (عالم الغيب) لان عالم الغيب يعلم ماهم عليه من عقيدة فى حياتهم ويعلم باجسامهم بعد مماتهم (لا يغرب) اى لا يغيب (عنه) عن علمه (مثقال) اى وزن (ذرة) اى هباءة صغيرة (فى السموات) على سمتها (ولا فى الارض) على ظلمتها (ولا اصغر) اى اشد صغرا (من ذلك)

اى من الذرة المذكورة (ولا اكبر) منها فهويعلم بجميع اجزائكم (الا ) ، اى لكن (فى كتاب مبين ) اى هو كائن فى كتاب مبين زيادة على مافى علمنا واذا كان فى علمنا ودون فى كتاب مبين واخبر به الرسول عن الله فلابد اذا ان تأتيكم الساعة كما اخبر بها .

قوله تعالى (وقال الذين كفروا ) هم كفار قريش اى قال بعضهم لبعض على جهة التعجب والاستهزاء (هل ندلكم على رجل ) يعنون به النبى صلى الله عليه وسلم .

( ينبئكم ) اى يحدثكم بامر غريب عجيب (اذا مزقتم كل ممزق ) اذا - شرطية وجوابها محذوف لدلالة مابعده عليه تقديره تبعثون .

(انكم لفى خلق جديد ) اى انكم لكائنون فى خلق جديد بعد هذا التمزيق والكلام خرج منهم مخرج التعجيب من القائل بهذا وهو انسان عاقل مفكر، كيف يكون من رجل كهذا ؟

ثم حكى الله عنهم انهم ردد وا سبب انذار الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك بين امرين :

الاول : (افترى على الله كذبا ) اى اهو عاقل كاذب يفترى على الله هذا القول والهمزة للاستفهام . والثانى :

(ام به جنة) اى ام هو غير عاقل به جنون فلا يعقل مايقوله .

فهم لا يرون مبررا لان يقول النبى صلى الله عليه وسلم هذا القول الا احد هذ ين الامرين اما لو كان صادقا غير مجنون فيستحيل عليه القول ببعث الاموات .

(بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد )اى ليس الامر كما زعموا بل هم وضعوا انفسهم فى القلق والاضطراب والخوف من المستقبل وضلوا طريق الحق والعدل والحكمة لان الذين لا يؤمنون بالاخرة ويطمئنون بان ربهم سيبعثهم وسيثيبهم على اعمالهم وان لهم مستقبلا خيرا من مستقبل الكافرين هم فى العذاب الدائم والضلال البعيد .

(افلم يروا الى مابين ايديهم وماخلفهم من السماء والارض)اى اكذبوا فلم يروا الى مابين ايديهم وماخلفهم من السماء والارض فان فيهما من آيات الله والدلائل على قدرته وتصرفه فى ملكه مالا يخفى على اى راء عاقل

مفكر مستبصر .

(اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم) ، الهمزة للاستفهام الانكارى والواو عاطفة على محذوف اى اينكرون قدرتنا على البعث وليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم مرة ثانية .

ان الذى يخلق هذا الوجود سماواته وارضه من العدم قادر على ان يخلق مثلهم مرة اخرى .

(ان نشأ نخسف بهم الارض) كما خسف بقارون (او نسقط عليهم كسفا) اى قطعا (من السماء) كما اسقطها على اصحاب الايكة .

لان هذه السماء والارض المحيطتين بهم خلق من خلق الله يتصرف فيهما كيف يشاء فهما نعمة للخلق اذا لم يخرجوا عن طاعة الله تعالى .

وقد جعل الله منها عذابا لمن كفر به وجحد رسالاته ،كما حصل لقارون وقوم لوط، وكما حصل لقوم نوح واصحاب الايكة وغيرهم (ان فى ذلك) التصرف المطلق فى الكون (لآية) دلالة واضحة على انه لا يعجزه شىء اراده ومن ذلك البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) اى انه لا يستفيد من هذه الاية الا العبد الراجع الى ربه بالتوبة والاخلاص لانه الذى يتفكر فى خلق الله وينتفع بالايات .

فى النص :

(١) التأكيد على اتيان الساعة ردا على من انكره .

(٢) بيان شمول علم الله (عالم الغيب لا يغرب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) . واذا كان فى علمنا ودون فى كتاب واخبر به الرسول عن الله فلابد ان تأتيكم الساعة كما اخبر بها .

(٣) الرد على من استبعد وقوع البعث ونسب المنذر به الى الكذب او الجنون .

(٤) الاستدلال بالقدرة على خلق الوجود بسماواته وارضه من العدم على القدرة على ان يخلق مثلهم .

(٥) ان فى تصرفه تعالى فى الكون لدليل على انه قادر على كل مايشاء ومن ذلك البعث .

* * *

## سورة فصلـــت

### النص القرآنى .

قال تعالى : " ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وماكنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فماهم من المعتبين " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة فصلت نزلت بعد سورة غافر .

### بيان النص .

( ويوم يحشر ) اى بعد البعث والعامل فى يوم محذوف تقديره اذكر .

( اعداء الله ) من الكفرة لعدائهم لله ( الى النار ) ليأخذوا جزاءهم

( فهم يوزعون ) اى يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا .

( حتى ) حرف غاية وهو هنا غاية ليحشر .

و( اذا ) ظرف لما يستقبل من الزمان .

و( ما ) مزيدة لتأكيد معنى ( اذا ) .

( جاءوها ) اى حضروا النار .

وفى الكلام تقدير اى حتى اذا ما جاءوها وسئلوا عما كانوا يعملون وانكروا عملهم السيئات ( شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ) هذا دليل على ان البعث جسمانى اذ ان ماذكر من شهادة السمع والابصار والجلود هى من خصائص الاجسام ، وفى شهادتها دليل على ان المعاد هو الجسم الذى كان فى الدنيا عينه لانه الذى شهد الاعمال المشهود بها ولو لم يكن كذلك لما اعتد بشهادته ولما كانت ملزمة للمشهود عليه .

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ) اى ما الذى جعلكم تشهدون علينا يقولون هذا لها .

(قالوا ) اى الشهود من الجوارح (انطقنا الله الذى انطق كل شئ ) اى ان الشهادة هذه ليس بوسعنا كتمانها فالله هو الذى انطقنا بما كنا نعلم من اعمالكم ولا عجب من اقدار الله لنا على الشهادة .

(وهو خلقكم اول مرة) لاغيره فعلام تنكرون بعثكم ومحاسبتكم وانطاق جلودكم بالشهادة عليكم ، فهو ربكم (واليه ترجعون ) للجزاء على الاعمال .

(وماكنتم تستترون ) اى استبعدتم بعثكم وماكنتم تستترون من جوارحكم غير معترفين (ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ) فى دنياكم (ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ) لانكم كنتم لا تقولون بعلمه بالجزئيات .

(ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم ) اى اهلككم (فاصبحتم ) بسببه (من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فماهم من المعتبين ) اى الامر واحد ان صبروا او استعتبوا فلا الصبر ينفعهم ولا ستعتاب يجاب لهم .

فى النص دلالة على ان البعث جسمانى لان السمع والابصار والجلود كلها من خصائص الاجسام وان المعاد هو الجسم الذى كان فى الدنيا عينه لانه المشاهد لاعمال المشهود عليه وفيه اثبات الحكمة ودليل الامكان .

* * *

## سورة الشورى

النص القرآني :

قال تعالى :

( ١ ) "وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير" .

( ٢ ) "فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الشورى نزلت بعد سورة فصلت.

بيان النص :

(وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها )اى اهل ام القرى والمراد بها مكة (وتنذر يوم الجمع) اى يوم القيامة (لا ريب فيه ) اعتراض مقرر لما قبله (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) اى بعد البعث والجمع والحساب .

قوله (فالله هو الولى ) اى ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولى بحق فالفاء واقعة فى جواب شرط مقدر .

(وهو يحيى الموتى ) اى شأنه وصفته .

(وهو على كل شىء قدير) فهو المستحق لان يتخذ وليا .

فى النص :

( ١ ) بيان ان من اغراض انزال القرآن الانذار بيوم الجمع وقد بينت الايات السابقة ان الجمع بعد البعث واعادة الاموات احياء .

( ٢ ) ان احياء الموتى من صفات الرب سبحانه (وهو على كل شىء قدير) .

كل هذا يؤكد وقوع البعث والجزاء على الاعمال .

* * *

## سـورة الجاثيـة

### النص القرآني .

قال تعالى : " وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم انهم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون ، فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ماندري ما الساعة ان نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين ، وبدا لهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الجاثية نزلت بعد سورة الدخان .

### بيان النص .

قوله (وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ما يهلكنا الا الدهر) .

(وقالوا) اى المنكرون للبعث (ماهي) اى ما الحياة (الا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) حكم على النوع بجملته من غير اعتبار تقديم وتأخير . اى تموت طائفة وتحيا طائفة ولا بعث ولا حشر ولا جزاء بعد ذلك (وما يهلكنا الا الدهر) اى طول الزمن .

هذه احدى مقالات الكفرة المنكرين للبعث وهي في هذا الموضع نفي

للبعث والجزاء مستندين الى ان الحياة والموت لعلل طبيعية ( وما يهلكنا ) الا طول الزمن الذى تفنى فيه قوة تجدد الحياة . لذا رد عليهم بقوله ( ومالهم بذلك من علم ) اى دليل قاطع لا يحتمل النقيض ، ( ان هم الا يظنون ) ظنا غير مستند لدليل معتبر فى ذلك .

( واذا تتلى عليهم آياتنا ) الناطقة بالادلة على البعث والجزاء .

( بينات ) واضحات الدلالة على ما نطقت به .

( ماكان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ) فى اخباركم باننا نبعث بعد الموت اى لم يكن عندهم حجة على عدم وقوع البعث الا عدم الدليل المادى على وجوده وهو احياء آبائهم اى انهم لا يكتفون بالادلة النظرية القطعية بل يريدون الدليل المادى من احياء آبائهم لكن لو احييت اباؤهم الا يقولون سحر ؟ كما قالوه فى آيات كثيرة .

الا يكون طلبا لاية متحاكم اليها فاما ان يؤمنوا او يهلكوا ؟

( قل ) يامحمد فى الرد عليهم ( الله يحييكم ) ابتداء ( ثم يميتكم ) عند انقضاء آجالكم ( ثم يجمعكم الى يوم القيامة ) لان القادر على الاحياء والاماتة فى الدنيا قادر على الاحياء بعد الموت مرة اخرى ( لا ريب فيه ) اى فى الجمع او يوم القيامة الذى يكون فيه الجمع لا ريب فيه لان القادر على البدء قادر على الاعادة .

لا ريب فيه لان الحكمة تقتضيه .

وهذا استناد لدليل وجود الله تبارك وتعالى وقدرته القادرة الذى اذا اراد شيئا قال له كن فيكون ، وشاهد ذلك الاحياء ابتداء واماتة ما احياه والحكمة فى الاحياء والاماتة ليست الا البعث والجزاء فهو يجمعكم الى يوم القيامة ، لذلك فدليل القدرة والحكمة شاهد على ايجاد البعث .

( ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) ان واجب الوجود قادر على ما شاء ودليل الحكمة قائم على ضرورة البعث .

( ولله ملك السموات والارض ) فله التصرف التام المطلق وقد تصرف بايجادها وخلق الانسان فيها وتكليفه وبعثه وجزائه .

( ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ) اى المبطلون للحقائق التى اراد ها الله فى خلقه وملكه لعباده من غير حجة .

(وترى كل امة جاثية) صفة اى باركة على الركب من خوف عاقبة الكفر.

(كل امة تدعى الى كتابها) اى كتاب اعمالها .

ويقال لهم عند ذلك (اليوم تجزون ماكنتم تعملون) من خير او شر.

(هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ) اى الملائكة فنجعلها تكتب (ماكنتم تعملون) لتجازون عليه بالحق (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا) فيقال لهم (افلم تكن آياتى تتلى عليكم) اى الم تأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم (فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) اى تكبرتم عن قبولها والايمان بها وكنتم من اهل الاجرام والاثام .

(واذا قيل ان وعد الله) اى وعده بالبعث والجزاء (حق) اى واقع لا محالة (والساعة) اى القيامة (آتية لا ريب فيها) اى فى وقوعها .

(قلتم ماندرى ما الساعة) اى اى شىء هى ؟ قلتم ذلك استهزاء .

(ان نظن الا ظنا) اى نحدس حدسا ونتوهم توهما .

(وما نحن بمستيقنين) اى لم يكن لنا يقين بذلك ولم يكن معنا الا الشك ومجرد الظن بانها آتية (وبدا لهم سيئات ماعملوا) اى وظهر لهم سيئات اعمالهم على الصورة التى هى عليها .

(وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون) اى احاط بهم جزاء استهزائهم .

(وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اى نتركم كما تركتم العمل بهذا اليوم (ومأواكم النار) اى مستقركم النار (ومالكم من ناصرين) ينصرونكم فيمنعون عنكم العذاب .

فى النص :

(١) الرد على منكرى البعث الذين استندوا فى انكارهم الى عدم الدليل المادى مثل احياء آبائهم فى الدنيا .

(٢) الاستدلال بالقدرة على البدء على القدرة على الاعادة فدليل القدرة والحكمة شاهد على البعث .

(٣) ان الحكمة فى الاحياء والاماتة ليست الا التكليف ثم البعث والجزاء عليه .

* * *

## سـورة الاحقـاف

### النص القرآني .

قال تعالى : " اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير ، ويـوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقـوا العذاب بما كنتم تكفرون ، فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجـل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلـك الا القوم الفاسقون " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الاحقاف نزلت بعد سورة الجاثية .

### بيان النص .

( اولم يروا ) الهمزة للانكار والواو عاطفة على مقدر اى اتفكروا ولـم يروا (ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن ) اى لم يتعـب بذلك (بقادر على ان يحيى الموتى ) ان الذى قدر على خلق السمـوات والارض على عظمتهما قادر على اعادة الموتى بالاولى .

(بلى انه على كل شىء قدير) تقرير للقدرة الالهية على وجه عام وفيه البرهان على البعث .

(ويوم يعرض الذين كفروا على النار) هذا دليل على ان البعـث جسمانى وكذا الجزاء فالعرض على النار من خصائص الاجسام .

(اليس هذا بالحق ) اى يقال لهم ذلك عند العرض (قالوا بلى وربنـا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) اى بسبب استمراركم على الكفر .

ثم توجه بالخطاب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال (فاصبر كمـا صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون ) وهـو البعث والجزاء (لم يلبثوا الا ساعة من نهار) اى لم يلبثوا فى الدنيـا او فى القبر الا ساعة يسيرة من نهار .

(بلاغ) اى هذا القرآن بلاغ (فهل يهلك) بعد البلاغ ( الا القوم الفاسقون ) اى الخارجون عن الطاعة .

فى النص :

( ١ ) الاستدلال بالقدرة على خلق السموات والارض للقدرة على البعث وهذا احد مسالك القرآن فى الاستدلال للقدرة على البعث .

( ٢ ) ان البعث والجزاء واقعان على الجسم لقوله (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) وهذا يدفع قول من يقول ان المراد بنصوص القرآن تمثيل الجزاء بصورة محسوسة لتفهيم عوام الخلق والا فالاعادة والجزاء للروح وحدها .

* * *

## سورة الذاريات

### النص القرآني .

قال تعالى : " والذاريات ذروا ، فالحاملات وقرا ، فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق ، وان الدين لواقع ، والسماء ذات الحبك ، انكم لفي امر مختلف يؤفك عنه من افك ، قتل الخراصون ، الذين هم في غمرة ساهون ، يسئلون ايان يوم الدين ، يوم هم على النار يفتنون ، ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون ، ان المتقين في جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ، وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون ، وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الذاريات نزلت بعد سورة الاحقاف .

### بيان النص

( والذاريات ذروا ) اى الرياح المفرقة الاشياء تفريقا من ذرى بمعنى فرق .

( فالحاملات وقرا ) اى حملا ثقيلا كالسحب الحاملة للمطر والسفن المسيرة في البحار وفي معناه .

( فالجاريات يسرا ) اى جريا سهلا .

( فالمقسمات امرا ) اى الملائكة ما تؤمر به على من يستحقونه .

اقسم الله بهذه الاشياء والمقسم عليه ( انما توعدون ) من وعيد الدنيا ووعيد الاخرة ( لصادق ) اى لا كاذب بل متحقق الوقوع .

( وان الدين ) وهو الجزاء ( لواقع ) حتما لان الحكمة تقتضيه والعدل الالهى يقتضيه وقد اخبر الله بوقوعه فيجب ان يقع .

(والسماء ذات الحبك) المحبوك المحكم الصنعة[1]، قال ابن عباس وعلى بن ابى طالب وعكرمة والحسن : الخلق الحسن وقال مجاهد : التقن الخلق[2].

(انكم) ايها المشركون المنكرون للبعث والجزاء (لفى قول مختلف) غير ثابت اذ تقولون - فى حق الله - انه خالق السماء والارض وتقولون بصحة عبادة غيره معه وفى حق الرسول تقولون انه مجنون وتقولون انه ساحر ولا يكون الساحر الا عاقلا وفى امر البعث والجزاء فتقولون : تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت وتدعون اخرى ان اصنامكم شفعاؤكم عند الله يوم القيامة الى غير ذلك من الاقوال المتخالفة .

(يؤفك عنه من افك) اى يصرف عن هذا الاختلاف من صرف بالهداية والتوفيق .

(قتل الخراصون) اى لعن الخراصون واصل الخرص حزر الثمرة والخراصون هنا المراد بهم الكذابون لانهم لم يقولوا ماقالوه عن علم بل لمجرد الظن[3].

(الذين هم فى غمرة) الغمرة معظم الماء الساترة لمقرها وجعل مثلا للجهالة التى تغمر صاحبها[4].

(ساهون) اى لاهون غافلون عن امور الاخرة .

(يسئلون) استهزاء (ايان يوم الدين) اى متى يوم الجزاء .

ويأتى الجواب بحمل الانذار والتحذير من عاقبة التكذيب .

(يوم هم على النار يفتنون) اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر

---

(١) قال ابو الحسين ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (٢ : ١٣٠) : حبك : الحاء والباء والكاف اصل منقاس مطرد وهو احكام الشئ فى امتداد واطراد يقال : بعير محبوك القرى اى قويه . . قال : وحبك السماء فى قوله تعالى (والسماء ذات الحبك) فقال قوم ذات الخلق الحسن المحكم وقال آخرون الحبك الطرائق الواحدة حبيكة ويراد بالطرائق طرائق النجوم .

(٢) انظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (٦ : ١١٢) .

(٣) انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ١٤٦) .

(٤) انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ٣٦٥) .

جودته من رداءته[1] ، والمراد هنا ادخال الكافرين النار لتعذيبهم .

(ذوقوا فتنتكم) اى يقال لهم فى ذلك اليوم (ذوقوا فتنتكم) اى عذابكم المعد لكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) اى بالسؤال عنه استبعادا واستهزاء .

(ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما اتاهم ربهم) من النعيم جزاء لاعمالهم الصالحة .

(انهم كانوا قبل ذلك) اليوم اى فى الدنيا (محسنين) اى لاعمالهم آتين بها على الوجه الحسن او انهم متصفون بالاحسان فيشمل هذا والاحسان على مستحقى الاحسان ثم ذكر اوجها من احسانهم فقال (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) اى انهم ماينامون من الليل الا قليلا .

(وبالاسحار هم يستغفرون) اى يداومون على الاستغفار بالاسحار .

(وفى اموالهم حق) اى نصيب (للسائل) الطالب (والمحروم) المتعفف .

(وفى الارض آيات) اى دلالات على صدق كل ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله من عقائد (للموقنين) الذين ينتفعون بهذه الايات .

(وفى انفسكم) اى وفى ذواتكم آيات دالة على قدرة الله الفائقة التى لايحدها شىء والتى تدل على قدرته على البعث .

(افلا تبصرون) اى اتنكرون قدرة الله تعالى على مايريد فلا تبصرون هذه الدلالات .

(وفى السماء رزقكم وماتوعدون) فان القضاء والقدر ينزل منها وجزاء الاعمال مكتوب فيها والجنة والنار فيها[2] .

(فورب السماء والارض انه) اى البعث او القرآن المنذر بالبعث .

(لحق مثل ما انكم تنطقون) كما انكم لا تشكون فى نطقكم فكذلك هذا الامر .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ٣٧٠) .

(٢) فتح القدير للشوكانى (٥ : ٨٥) .

في النص يقسم رب العزة والجلال على حصول الموعود به وهو البعث .

وفيه الدليل على ان البعث والجزاء للروح والجسد لان ماذكر من الجزاء نعيما او عذابا هو من خصائص الاجساد .

وفيه ان في الكون آيات تدل على قدرة الله على مايشاء وفي نفس الانسان آيات كذلك وفي هذا دحض لحجة من يقول بالتمثيل .

* * *

## سـورة النحـل

النص القرآنى .

قال تعالى :

( ١ ) "والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ،اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون ،والهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون" .

( ٢ ) " واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة النحل نزلت بعد سورة الكهف .

بيان النص .

(واقسموا بالله جهد ايمانهم) اى جاهدين فى ايمانهم .

(لا يبعث الله من يموت) لان بعثه متعذر او متعسر لان من يموت يفقد جميع ما به تكون الحياة فلا تمكن اعادته حيا .

الجواب :

(بلى ) ايجاب للنفى اى يبعثهم الله (وعدا عليه حقا ) اى ثابتا فهو لا يخلف وعده .

(ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) الثابت لله من العلم والحكمة والقدرة والعدل فلعدم علمهم ينفون ما اثبته الله وما تقتضيه الحكمة والعدل الالهى .

ثم بين تعالى بعض ما يترتب على البعث فقال (ليبين لهم الذى يختلفون فيه ) فيظهر المحق من المبطل والمصيب من المخطىء ويجازى كلا بحسب عمله .

(وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ) فى انكارهم البعث وغيره

مما يجب تصديقه والايمان به ، واذا علموا انهم كانوا كاذبين فى ادعائهم انه لا يبعث الله من يموت ثبت الجزاء على هذا التكذيب وما ادى اليه من اعمال ثم بين سهولة البعث عليه فقال ( انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ) .

فى النص :

( ١ ) دليل الحكمة يثبت البعث .

( ٢ ) سهولة البعث على القدرة الالهية .

* * *

## سـورة المؤمنـون

النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) " ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قـرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظـام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ، ثم انكـم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون . ولقد خلقنا فوقكـم سبع طرائق وماكنا عن الخلق غافلين وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشأنا لكم به جنات من نخيـل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون " .

( ٢ ) " وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربـون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ، ايعدكم انكم اذا متـم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون ان هـى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين ، ان هو الا رجـل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين ، قال رب انصرنى بما كذبـون قال عما قليل ليصبحن نادمين ، فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهـم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ، ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين ماتسبق من امة اجلها ومايستأخرون " .

( ٣ ) " وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون . وهـو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ، وهو الذى يحيى ويميت ولـه اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون ، بل قالوا مثل ماقال الاولون ، قالـوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وابائنـا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ، قل لمن الارض ومن فيهـا ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل افلا تذكرون ، قل من رب السمـوات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله افلا تتقون ، قل من بيـده

ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فانى تسحرون ،بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون" .

( ٤ ) "حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ،لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" .

( ٥ ) " قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة المؤمنون نزلت بعد سورة الانبياء .

بيان النص .

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة) اى بدأنا خلقه فمن الابتداء الغاية والمراد اصل الانسان وهو آدم عليه السلام .

(من طين ) اى من بعض الطين .

هذه بداية خلق الانسان اما الطريق فى تكرار افراده لبقاء جنسه فقال تعالى فى شأنه (ثم جعلناه ) يجوز ان يكون ضمير المفعول راجعا الى طريق الخلق ويجوز ان يكون راجعا للانسان غير آدم وحواء .

(نطفة فى قرار مكين ) وهو رحم الام ومعنى مكين مستقر محفوظ .

(ثم خلقنا النطفة علقة) اى دما جامدا .

(فخلقنا العلقة مضغة) اى قطعة لحم .

(فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ) هذه الحقيقة التى سجلها القرآن الكريم معجزة من معجزات القرآن العظيمة اذ كشف علم الاجنة التشريحى ان خلايا العظام غير خلايا اللحم وان خلايا العظام هى التى تتكون اولا فى الجنين ولا تشاهد خلية واحدة الا بعد ظهور خلايا العظام وتمام الهيكل العظمى للجنين ،فسبحان الله العليم الخبير .

(ثم انشأناه خلقا آخر) الاطوار السابقة ابتداء من النطفة وانتهاء بكسو العظام لحما يشارك فيها الحيوان الانسان ثم بعد كسو العظام لحما يفترقان بحيث ينشأ جنين الانسان خلقا آخر بما جعل الله فيه من خصائص مميزة وهبها الله له عن تدبير مقصود لا عن طريق التطور الالى من نوع الحيوان الى نوع الانسان .

(فتبارك الله احسن الخالقين) الذى اودع فطرة الانسان تلك القدرة على السير فى هذه الاطوار وفق سنة لا تتبدل ولا تنحرف .

(ثم انكم بعد ذلك) الخلق العجيب (لميتون) اى لصائرون الى الموت .

(ثم انكم يوم القيامة) عند النفخة الثانية (تبعثون) اى من قبوركم للحساب والجزاء .

(ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) هى السموات (وما كنا عن الخلق) اى المخلوق (غافلين) بل حفظناها من ان تقع على الارض فتهلك من فيها بل انه نفى للغفلة عن الخلق عموما فيشمل مصالحهم وحفظهم واعمالهم ومعادهم .

(وانزلنا من السماء ماء بقدر) اى بتقدير يكون به الصلاح (فاسكناه فى الارض) اى جعلناه مستقرا فيها (وانا على ذهاب به لقادرون) اى كما قدرنا على انزاله نقدر على ان نذهب به بوجه من الوجوه (فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) كل هذا يتسبب عن الماء والكل من فعل الله وتصرفه وهو دليل على انه يفعل ما يشاء .

قوله (وقال الملأ) اى الاشراف (من قومه) بيان لهم (الذين كذبوا بلقاء الاخرة) اى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب بعد البعث .

(واترفناهم فى الحياة الدنيا) اى نعمناهم ووسعنا عليهم فيها .

(ما هذا الا بشر مثلكم) يريدون بهذا تهوين امر الرسول صلى الله عليه وسلم وصد الناس عن اتباع دعوته .

(يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة .

(ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) عقولكم ومغبونون فى آرائكم لتركك عبادة الهتكم واتباعكم اياه .

(ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) استئناف

مسوق لتقرير ماقبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع البعث واستبعاده وايراد الشبه حول امكانه ووقوعه ، وقد تقدم بحث مثل هذه الشبهة كثيرا .

(هيهات) اسم للبعد (هيهات) كرر لتأكيد البعد .

(لما توعدون) اللام متعلق بمحذوف تقديره كائن اى البعد كائن (لما توعدون) من البعث والجزاء .

(ان هى الا حياتنا الدنيا) اى ما الحياة الا حياتنا الدنيا فلا بعث بعد الموت ولا جزاء .

(نموت ونحيا) جملة مفسرة لما ادعوه والمراد يموت بعض ويولد بعض وهكذا او ان المراد الحياة والموت والواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا .

(ومانحن بمبعوثين) بعد الموت تأكيد لعقيدتهم النافية للبعث .

(ان هو) اى ماهو اى رسولهم (الا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من الرسالة والبعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين فيما يقوله .

(قال) اى رسولهم (رب انصرنى) عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) اى بسبب تكذيبهم اياى .

(قال) اى الله (عما قليل) ، (ما) زائدة بين الجار والمجرور للتوكيد لقلة الزمان .

(ليصبحن نادمين) على التكذيب والعناد .

(فاخذتهم الصيحة بالحق) اى اخذتهم صيحة جبريل (بالحق) بالامر الثابت الذى لا مدفع له او بالعدل والفاء للترتيب .

(فجعلناهم غثاء) اى كغثاء السيل وهو مايحمله من الاوراق والعيدان البالية والمراد انهم صاروا لا قيمة لهم كالغثاء .

(فبعدا للقوم الظالمين) اى بعدوا بعدا من رحمة الله .

(ثم انشأنا من بعدهم) اى من بعد اهلاكهم (قرونا آخرين ماتسبق من امة اجلها) اى ماتتقدم امة من الامم قبل مجىء اجلها .

(وما يستأخرون) اى مايتأخرون عن ذلك الاجل المعلوم الذى قدره الله لهم .

قوله (وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وهو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون ) .

فى هذه الايات لفت للعقل الانسانى الى الاستدلال على قدرة الله على البعث بقدرته على خلق الانسان على هذه الكيفية العظيمة .

فمن انشأ السمع والبصر والافئدة وذرأ الناس فى الارض والذى يحيى ويميت ويملك التأثير فى اختلاف الليل والنهار ايكون غير حكيم ؟ ايكون عابثا ، ولاعبا او لاهيا ، بخلقه ذلك كله ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ولما كان العبث واللهو واللعب غير جائزة على الله وجب ان يكون بعث وجزاء لمقتضى الحكمة والعدل الالهى .

(بل قالوا ) عطف على مضمر يقتضيه المقام اى لم يؤمنوا بتلك الادلة (بل قالوا مثل ماقال الاولون ) اى من سبقهم من الكفار ولم يبنوا ما اعتقدوه على علم يقينى .

ثم بين ماقاله الاولون فقال (قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ) وقد مر الكلام على هذه الشبهة فيما تقدم من الايات .

(لقد وعدنا نحن وابائنا هذا ) الوعد بالبعث (من قبل ) وعد محمد (ان هذا الا اساطير الاولين ) اى اكاذيبهم التى سطروها فليس من عند الله .

(قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ) تلقين للنبى صلى الله عليه وسلم الحجة .

(سيقولون لله ) لانهم يقرون له بالخالقية (قل افلا تذكرون) اى اتفرون بذلك فلا تتذكرون ان القادر على فطر الارض ومن فيها قادر على احياء الموتى .

(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ) اعيد لفظ الرب تنويها بشأن العرش ورفعا لمحله من ان يكون تابعا للسموات وجودا وذكرا .

(سيقولون لله ) لانهم مقرون بالخالقية لله تعالى .

(قل) افحاما لهم وتوبيخا (افلا تتقون) اى اتعلمون ذلك فلا تتقون عقابه على عدم العمل بما تعلمون بل وعلى الانكار بما اخبر به من البعث والجزاء .

(قل من بيده ملكوت كل شيء) مما ذكر ومالم يذكر ، وصيغة الملكوت للمبالغة فى الملك فالمراد به الملك الشامل الظاهر (وهو يجير) اى يمنع من يشاء ممن يشاء .

(ولا يجار عليه) اى ولا يمنع احد منه جل وعلا احدا (ان كنتم تعلمون) اى هذا السؤال موجه لكم ان كنتم تعلمون .

(سيقولون لله قل) تهجينا لهم (فانى تسحرون) اى كيف تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من البغى فان من لا يكون مخدوعا كالمسحور لا يكون كذلك .

(بل اتيناهم بالحق) اضراب عن قولهم (ان هذا الا اساطير الاولين) والمراد بالحق كل ما جاء به الرسول من عند الله .

(وانهم لكاذبون) فى قولهم (ان هذا الا اساطير الاولين) ومن تدبر القرآن تبين له انه من عند الله العزيز الحكيم .

قوله (حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون) اى ردونى الى الدنيا (لعلى اعمل صالحا فيما تركت) اى فى الايمان الذى تركته .

(كلا) ردع عن طلب الرجعة (انها) اى قولته هذه (كلمة هو قائلها) لاستيلاء الحسرة والندم عليه .

(ومن ورائهم) اى امامهم (برزخ) حاجز بينهم وبين الرجعة .

(الى يوم يبعثون) من قبورهم يوم القيامة .

(فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة النفخة الثانية التى يكون عندها البعث .

(فلا انساب بينهم يومئذ) اى يوم اذ نفخ فى الصور كما هى بينهم فى الدنيا والمراد نفى النفع فهى فى منزلة المعدوم لعظم الهول واشتغال كل بنفسه (ولا يتساءلون) اى لا يسأل احد احدا عن حاله .

قوله (قال) اى الله او الملك المأمور بالقول (كم لبثتم فى الارض) والخطاب لاهل النار او لبعضهم اى ان مدة لبثكم فى الدنيا كان

كافيا لان تؤمنوا ولكنكم لم تفعلوا فلوعدتم للدنيا لعدتم للكفر او لا عذر لكم بعد تمكينكم من العمل ولم تعملوا .

(قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم لما تحققوه من الخلود فيما هم فيه (فسئل العادين) اى المتمكنين من العد .

(قال) الله او الملك (ان لبثتم) فى الدنيا (الا قليلا) اى زمنا قليلا (لو انكم كنتم تعلمون) اى لو كنتم من اهل العلم وجواب (لو) محذوف اى لو كنتم تعلمون قلة لبثكم فى الدنيا كما علمتم اليوم ما اغتررتم بها وكفرتم بالله ورسله .

(افحسبتم انا خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) الهمزة للانكار والفاء عاطفة على مقدر اى أأنكرتم البعث فحسبتم انا خلقناكم عبثا .

والعبث ما خلا من الفائدة مطلقا او المعتد بها .

والمعنى ان حسبانكم ان لا بعث ولا جزاء يستلزم ان يكون خلقكم عبثا ولكن الله منزه عن العبث اذا لا بد من البعث ولا بد من الجزاء لان الحكمة تقتضى ذلك .

(فتعالى الله) اى تقدس وتعاظم عن ان يخلق الخلق عبثا .

(الملك الحق) اى الحقيق بالملكية على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة فكونه ملكا حقا لا بد ان تكون افعاله منزهة عن اللهو والعبث وعن الظلم فالبعث والجزاء من مستلزمات كونه ملكا حقا لان فيها اثبات للحكمة وتحقيق للعدل الالهى ودفع للظلم .

فلو لم يكن بعث وجزاء لما ثبتت الحكمة والعدل الالهيان ولكان الخلق عبثا او لهوا ولتساوى المصلحون والمفسدون فى الارض والمؤمنون والفجار ولكان هناك عامل لم ينل جزاء عمله خيرا كان او شرا .

(لا اله الا هو رب العرش الكريم) فكيف لا يكون الها وربا لما هو دون العرش من المخلوقات وكيف لا يتصرف فى ملكه كيفما شاء حسب علمه وحكمته .

فى النص : بيان امكان البعث وبيان دليل الحكمة عليه .

* * *

## سورة السجـــدة

### النص القرآنى .

قال تعالى : " ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الـــذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئـــدة قليلا ماتشكرون ، وقالوا ائذا ضللنا فى الارض ، انا لفى خلق جديد بـــل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكـــم ترجعون " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة السجدة نزلت بعد سورة المؤمنون .

### بيان النص .

قوله ( ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ) اوصاف كمال للـه تعالى واذا كان عالما بما غاب عن الخلق وما حضر فعلمه محيط بكل شـــىء وسوف لا يعزب عنه شىء من الانسان ولا عمله فيبعث الانسان ويجازيه بمـــا عمل وهو العزيز الذى لا يغلب الرحيم بعباده .

( الذى احسن كل شىء خلقه ) لانه يفعل عن علم وحكمة .

( وبدأ خلق الانسان من طين ) يعنى آدم الذى هو اصل الانسان .

( ثم جعل نسله ) اى ذريته ( من سلالة ) اى خلاصة ( من ماء مهـــين ) اى من نطفة ضعيفة رقيقة ( ثم سواه ) عدله بتكميل اعضائه وتقدم ذكر اطـــوار هذه التسوية فى سورة المؤمنون ( ونفخ فيه من روحه ) بعد ان سواه .

( وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ) لتكونوا مستعدين للتكليـــف وهذه نعم يجب شكرها لله ولكن ( قليلا مايشكرون ) تذييل لبيان كفرهم بتلك النعم ، وتمادوا فى كفرهم وضلالهم ( وقالوا ائذا ضللنا فى الارض ) اى ضمنـا فيها بان صرنا ترابا مخلوطا بعناصرها ( ائنا لفى خلق جديد ) تأكيد منهم لانكار قضية البعث ( بل هم بلقاء ربهم كافرون ) اضراب انتقالى من حكايـــة استبعادهم البعث الى حكاية الجزم بعدمه ( قل يتوفاكم ملك الموت الـــذى

وكل بكم ) اى يقبض ارواحكم ( ثم الى ربكم ترجعون ) بالبعث للجزاء ولا تستطيعون منع انفسكم من ملك الموت ولا منعها من الرجوع حية مرة اخرى للجزاء هـــذا التأكيد على قضية البعث يمنع ارادة المجاز .

( ائنا لفى خلق جديد ) الاستفهام للانكار .

والمعنى اذا ضللنا فى الارض لا يجدد خلقنا .

وقد مر بيان هذه الشبهة فيما تقدم من النصوص والرد عليها .

( بل هم بلقاء ربهم كافرون ) اضراب انتقالى من حكاية استبعادهـــم البعث الى حكاية الجزم بعدمه .

( قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ) اى يقبض انفسكم .

( ثم الى ربكم ترجعون ) بالبعث للحساب والجزاء .

فى النص بيان علم الله الشامل وفى ذلك رد على من يدعى عدم علـــم الله تعالى بالجزئيات .

وفيه ان القادر على البدأ قادر على الاعادة .

وفيه ان البعث للروح والجسد معا .

* * *

## سـورة الملـك

النص القرآني .

قال تعالى : "قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ، ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين ، فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به توعدون" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الملك نزلت بعد سورة الطور .

بيان النص .

قوله (قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) اى القلوب (قليلا ماتشكرون) اى ان هذه النعم تستوجب منكم الشكر لمسديها ولكن (قليلا) صفة لمصدر محذوف اى شكرا قليلا ماتشكرون ، ثم زاد فى بيان نعمه فقال (قل) يامحمد جوابا لمنكرى قدرة الله على البعث .

(هو الذى ذرأكم فى الارض) اصل الذرأ وضع البذور فى الارض لانباتها[1] ، والمراد هنا خلقكم .

(واليه تحشرون) يجوز ان يكون اخبارا بانه تعالى سيحشرهم للجزاء والحساب فيكون مستأنفا .

ويجوز ان يكون معطوفا على النعم السابقة الذكر فيكون احد هذه النعم من حيث ان كل عامل يلقى جزاء عمله ومن حيث يقتص للمظلوم من ظالمه فالحشر احدى حلقات المسيرة الانسانية التى تبدأ من خلقه من سلالة من طين كما تقدم وتنتهى اما الى الجنة واما الى النار بعد الموت والبعث والجزاء .

---

(١) قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (٢ : ٣٥٢) : قولهم ذرأنا الارض اى بذرناها .

ولكن الكافرين لا يقتنعون بل لا يريدون ان يقتنعوا بالادلة على امكان البعث بل حتميته (ويقولون متى هذا الوعد ) اى بالحشر والجزاء الـــذى تأمروننا بالايمان به يقولون هذا استهزاء لا استرشادا .

(ان كنتم صادقين ) فيما تخبروننا به من مجيء الساعة والحشـــر اى فبرهنوا على صحة اخباركم ببيان زمن مجيء هذا الوعد الذى تذكرون .

(قل ) يامحمد (انما العلم ) اى بوقته (عند الله ) عز وجل لا يطلـع عليه غيره .

(وانما انا نذير مبين ) انذركم وقوع الموعود حتما ، اما العلم بوقـت وقوعه فليس من وظائف الانذار .

(فلما رأوه ) الضمير راجع للوعد المتقدم الذكر فلما تحققوا منـــه بمعاينته يوم القيامة (زلفة) اى قريبا .

(سيئت وجوه الذين كفروا ) اى ظهر الاستياء والكآبة .

(وقيل هذا ) البعث (الذى كنتم توعدون ) على السنة الرسل .

فى النص تأكيد على امر البعث وانه حقيقة ثابتة لابد من وقوعهـــا وانها من نعم الله على الانسان كنعمة خلقه .

* * *

## سورة الحاقة

### النص القرآني .

قال تعالى : " الحاقة، ما الحاقة، وما ادراك ما الحاقة، كذبت ثمود وعاد بالقارعة، فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية، واما عاد فاهلكوا بريح صرر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية، وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة، فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية، فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة، وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة، وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية" .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الحاقة نزلت بعد سورة الملك .

### بيان النص .

(الحاقة) اى المتحققة الوقوع والمراد بها الساعة وهى مبتدأ خبره جملة (ما الحاقة) على ان ما مبتدأ والحاقة خبره والمعنى الشيء العظيم الحاقة .

(وما ادراك ما الحاقة) اى اى شيء اعلمك ما الحاقة تأكيد لهولها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات .

(كذبت ثمود وعاد بالقارعة) اى بالقيامة ، التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار .

(فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) اى المجاوزة للحد وهى الصيحة والاهلاك نتيجة للتكذيب او تكون الباء سببية والطاغية صفة لمحذوف

اى بسبب الفعلة الطاغية وهى عقر الناقة والفاء تفصيلية .

(واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية) اى شديدة العصف .

(سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما ) اى متتابعات .

(فترى القوم فيها صرعى ) اى هلكى جمع صريع (كأنهم اعجاز نخل خاوية) اى كأنهم اصول نخل خلت اجوافها من البلى والفساد فسقطت على الارض .

(فهل ترى لهم من باقية) اى بقية بعد نزول هذا العذاب الموصوف بهم اى لا احد يرى انه سيبقى منهم احد .

(وجاء فرعون ومن قبله ) اى من تقدمه من الامم الكافرة كقوم نوح .

(والمؤتفكات) قرى قوم لوط والمراد اهلها (بالخاطئة) اى بالافعال ذات الخطأ .

(فعصوا رسول ربهم ) اى فعصت كل امة رسول ربهم اليهم .

(فاخذهم ) اى الله (اخذة رابية) اى زائدة فى الشدة .

(انا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية) اى لما جاوز الماء حده المعتاد فى عهد نوح حملناكم فى السفينة الجارية التى صنعها نوح بأمر من الله وهذه نعمة يجب شكرها .

(لنجعلها لكم تذكرة) عبرة ودلالة على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى والمراد ذكر هذه القصة (ونعيها اذن واعية) اى عند سماعها نستخلص منها العبر والادلة الدالة على عظيم قدرة الله جل وعلا .

(فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) والمراد بالنفخة النفخة الاولى عند خراب الكون .

(وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة) اى قامت القيامة .

(وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) اى ضعيفة متداعية للسقوط (والملك ) اى جنس الملائكة (على ارجائها )اى جوانبها .

(ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ابن كثير : اى يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة .

ويحتمل ان يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم او العرش الذى يوضع فى الارض يوم القيامة لفصل القضاء[1].

(يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) اى تعرضون على الله العالم بكل احوالكم فلا يخفى عليه منها شىء .

فى النص :

التذكير بما حل بمكذبى الامم السابقة من عقاب فى الدنيا ووقوع العقاب فى الدنيا مع كونها دار عمل لا دار جزاء يدل على وقوع الجزاء فى الاخرة بالاولى لانها دار جزاء .

وفيه ان الله هو المتصرف فى الكون يفعل فيه مايشاء فاذا قال انه سيبعث الموتى فانه يبعثهم لانه على كل شىء قدير .

* * *

(١) تفسير ابن كثير (٧ : ١٠٣) .

## سـورة المعـارج

النص القرآني .

قال تعالى : " كلا انا خلقناهم مما يعلمون ، فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين ، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ، يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون " .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة المعارج نزلت بعد سورة الحاقة .

بيان النص .

قوله (كلا انا خلقناهم مما يعلمون) من الذى يعلمونه حيث بينت النصوص السابقة فى نزولها لهذا النص مما خلق الانسان وكيف خلق .

(فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) اى نهلكهم بجناياتهم ونأتى بدلهم بقوم خير منهم (وما نحن بمسبوقين) اى بمغلوبين .

(فذرهم) فاتركهم غير مكترث بهم (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم .

(حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم البعث الذى يوعدون به ويكذبونه .

(يوم يخرجون من الاجداث) اى القبور وهو بدل من يومهم .

(سراعا) اى مسرعين حال من فاعل يخرجون (كأنهم الى نصب) هو ما نصب وعبد من دون الله عز وجل .

(يوفضون) اى يسرعون عجلين[1] ، والمراد انهم يخرجون من

(١) انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ٥٢٨) .

قبورهم مسرعين الى الداعى يسبق بعضهم بعضا ، ( خاشعة ابصارهـــم ) لعظم ماتحققوه .

( ترهقهم ذلة ) تغشاهم ذلة شديدة ( ذلك اليوم الذى كانـــوا يوعدون ) فى الدنيا فيكذبون به ويوردون الشبه عليه طلبا لدفعه .

هذا النص فيه دليل امكان البعث.

وفيه ان البعث جسمانى اذ ان مافى الاجداث هى الاجســـام وتصوير الهيئة التى يخرجون عليها مسرعين ( كأنهم الى نصب يوفضون ) يدل عليه اذ انها من خصائص الاجسام .

وكذا خشوع الابصار .

فلم يبق بعد هذا وبعد ماتقدم وماسيأتى من نصوص حجة للقائلـين بان البعث للروح فقط ، ولم يبق الا الايمان بان البعث والجزاء كلاهمـــا جسمانى وان هذا ماتدل عليه النصوص القرآنية وهو مايقتضيه العـــدل الالهى والحكمة الالهية .

* * *

## سـورة النبـأ

النص القرآني .

قال تعالى : " ان يوم الفصل كان ميقاتا ، يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا ، وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ، ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا ، لابثين فيها احقابا ، لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ، الا حميما وغساقا ، جزاء وفاقا ، انهم كانوا لا يرجون حسابا ، وكذبوا بآياتنا كذابا ، وكل شيء احصيناه كتابا ، فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ان للمتقين مفازا ، حدائق واعنابا ، وكواعب اترابا ، وكأسا دهاقا ، لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ، جزاء من ربك عطاء حسابا ، رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ، يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ، ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا " .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة النبأ نزلت بعد سورة المعارج .

بيان النص .

قوله (ان يوم الفصل كان ميقاتا ) الميقات الوقت المضروب للشيء والوعد الذى جعل له وقت .(١)

اى (ان يوم الفصل ) بين الخلائق وقت ضرب لانفاذ ما وعد او اوعد الله به على لسان رسله ثم بين وقته وانه يكون (يوم ينفخ في الصور) اى النفخة الثانية .

(فتأتون ) ايها الناس (افواجا ) جمع فوج اى جماعات .

(وفتحت السماء فكانت ابوابا ) اى شقت السماء فصارت ابوابا لنزول الملائكة .

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (ص ٥٢٨ ) .

(وسيرت الجبال فكانت ) اى فصارت بعد تسييرها (سرابا ) اى كلاشىء كما ان السراب يظنه الناظر اليه ماء وهو فى الحقيقة ليس بماء[1].

(ان جهنم كانت مرصادا ) اى موضع رصد .

(للطاغين مآبا ) اى مرجعا ومأوى .

(لابثين فيها احقابا ) اى ماكثين فيها احقابا لا تنقطع ولا تنتهى .

(لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ) اى لا يذوقون فى جهنم بردا ينفعهم من حرها (ولا شرابا ) ينفعهم من عطشها (الا حميما ) وهو الماء الحار (وغساقا ) وهو صديد اهل النار .

(جزاء ) اى جوزوا بذلك جزاء (وفاقا ) اى موافقا لاعمالهم .

(انهم كانوا لا يرجون حسابا ) تعليل لاستحقاق العذاب والمعنى استحقوا العذاب لانهم لم يخافوا الحساب والجزاء بعد البعث لانهم لا يؤمنون بذلك .

(وكذبوا بآياتنا ) الدالة على البعث والجزاء وغير ذلك مما يجب الايمان به و(كذابا ) اى تكذيبا .

(وكل شىء احصيناه كتابا ) اى كل شىء من الاشياء التى من جملتها اجزاؤهم المتفرقة واعمالهم التى سنجازيهم عليها .

(فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ) اى فيقال لهم ذوقوا فهو مسبب عن كفرهم بالحساب والايات (ان للمتقين مفازا ) اى موضع فوز عظيم فيه (حدائق) جمع حديقة وهى البستان الذى فيه انواع الشجر (واعنابا ) وهى الكروم .

(وكواعب) جمع كاعب (اترابا ) اى لدات بنشأن معا او فى سن واحدة (وكأسا دهاقا ) اى مترعة .

(لا يسمعون فيها ) اى فى الجنة (لغوا ) وهو مالا يعتد به من الكلام (ولا كذابا ) اى تكذيبا .

(جزاء من ربك ) اى للمؤمنين (عطاء ) اى تفضلا واحسانا (حسابا ) صفة لعطاء بمعنى كافيا .

(رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ) .

اى لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبىء عنه

---

(١) قال الراغب فى المفردات (ص٢٢٩ ) : والسراب اللامع فى الفلاة كالماء ، وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة ..الخ

لفظ الملـــك .

والمراد نفى قدرتهم على ان يخاطبوه عز وجل بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب .

من كل هذا نجزم بان الجزاء جسمانى ولا يكون ذلك الا بالبعـــث الجسمانى . فكل ماذكر فى النص من جزاء سواء اكان للكافرين او كان للمؤمنين فانه من خصائص الاجسام .

قوله ( يوم يقوم الروح ) ملك من الملائكة .

( والملائكة صفا ) اى مصطفين .

( لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ) اى ان اهل السمـــاء والارض فى ذلك اليوم لا يتكلمون الا بعد ان يأذن الله لمن يشاء بشـــرط ان يقول قولا صوابا لا مطلق كلام وقيل ان المراد به الشفاعة .

( ذلك اليوم ) اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور ( الحـــــق ) اى الثابت المتحقق .

( فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ) الفاء فصيحة اى فما تا م الامر متحـقق كما ذكر ( فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ) .

او اتضح امر البعث والجزاء ( فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ) اى مرجعا .

( انا انذرناكم ) اى بما ذكر فى السورة وماذكر فى السور قبلهـــــا

( عذابا قريبا ) هو عذاب الاخرة وقربه لتحقق اتيانه لان كل آت قريب .

ثم بين زمن هذا العذاب وانه ( يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ) اى كائنا يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ( ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ) يجوز ان المراد ليتنى لم اخلق ، او لم ابعث فبقيت ترابا او قال ذلك عندما رأى البهائـــم وقد اقتص لها من بعضها ثم قيل لها كونى ترابا فكانت[1] ، فتمنى ان يكـــون كذلك لينجو من العذاب وقوله هذا يدل على غاية فى التحسر والخيبة .

فى النص : ان البعث للروح والجسد معا لان ماذكر فى النص مـــن خصائص الاجساد ، وفى الوصف المتكرر فى آيات القرآن لاحوال الناس يـــوم القيامة ، والوصف المتكرر لتفاصيل احوال الاخرة دليل على ان المراد حقيقة النص لا مجازه ودفع لشبه اصحاب التمثيل .

---

( ١ ) انظر الدر المنثور للسيوطى ( ٦ : ٣١٠ ) .

* * *

## سـورة النازعـات

### النص القرآني .

قال تعالى : " والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا فالسابقات سبقا ، فالمدبرات امرا ، يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ، ابصارها خاشعة ، يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة ، قالوا تلك اذا كرة خاسرة ، فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة " .

وقال تعالى : " فاذا جاءت الطامة الكبرى ، يوم يتذكر الانسان ماسعى وبرزت الجحيم لمن يرى ، فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى ، يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها ، الى ربك منتهاها ، انما انت منذر من يخشاها ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة النازعات نزلت بعد سورة النبأ .

### بيان النص .

( والنازعات غرقا ) اى الملائكة الموكلة بنزع الارواح من الاجساد ( غرقا ) مصدر مؤكد اى اغراقا فى النزع والارواح التى تنزع نزعا هى ارواح الكفار .

( والناشطات نشطا ) النشط الاخراج برفق اى والمخرجات ارواح المؤمنين وهى الملائكة ايضا .

( والسابحات سبحا ) هى الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشىء فى الماء يرفق به وقيل السفرس المسرعة وقيل النجوم .

( فالسابقات سبقا ) قيل الملائكة سبقت بالايمان والتصديق وعن

مجاهد النجوم وعن عطاء الخيل فى سبيل الله (فالمدبرات امرا) قيل الملائكة تدبر الامر من السماء الى الارض بامر ربها ولم يقطع ابن جرير فى المراد بشيء من ذلك والله اعلم .

هذه امور اقسم الله بها على وقوع القيامة والبعث والجزاء وجواب القسم محذوف تقدير لتبعثن (يوم ترجف الراجفة) وهى النفخة الاولى .

(تتبعها الرادفة) اى النفخة الثانية وهى تردف اى تتبع الاولى .

(قلوب يومئذ واجفة) مضطربة من الخوف لشدة الفزع .

(ابصارها خاشعة) اى ابصار اهلها ذليلة من الخوف .

(يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة) حكاية لما يقوله منكروا البعث وهو مثل لمن يرد من حيث جاء اى(١) انحيا بعد ان نموت ومرادهم انكار البعث بعد الممات .

وقيل الحافرة الارض التى جعلت قبورهم ومعناه ائنا لمردودون ونحن فى الحافرة اى فى القبور وعلى هذا تكون الحافرة فاعل بمعنى مفعول اى المحفورة .

ثم جاءوا بالشبهة التى يردونها متوهمين انها حجة تدفع امكان البعث فقالوا (ائذا كنا عظاما نخرة) اى بالية من قولهم نخرت الشجرة اى بليت فهبت بها نخرة الريح اى هبوبها(٢) ، والعامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون اى انرد اذا كنا عظاما نخرة .

قصدوا بهذا تأكيد انكار البعث بذكر حالة منافية له فى نظرهم .

ثم حكى تعالى عنهم كرة اخرى فقال (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) .

(فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) .

بيان لسهولة امر البعث وانه ليس كما يتصورونه بل قدرة الله تعالى شاملة له .

وفى هذا النص حجة قاطعة لا تقبل النقض على ان البعث جسمانى لانه اثبات لما انكره الكافرون فهم انكروا ان تعاد الاجسام حية ، بعد ان بليت وتفتتت . فجاء النص راداً عليهم باثبات المعاد الجسمانى بعد ان

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ١٢٤) .

(٢) نفس المصدر (ص ٤٨٦) .

اكد وقوع البعث بالاقسام عليه فى اول الايات.

قوله (فاذا جاءت الطامة الكبرى) اى الداهية العظيمة، وهى النفخة الثانية كما قال الحسن[1].

(يوم يتذكر الانسان ماسعى) بدل من (اذا جاءت الطامة) والمراد يتذكر كل احد ماعمله من خير او شر.

(وبرزت الجحيم لمن يرى) اى اظهرت اظهارا بينا لا يخفى لكل من يبصر كائنا من كان.

(فاما من طغى) اى تجاوز الحد بكفره بالله واليوم الاخر.

(وآثر الحياة الدنيا) اى اختارها وقدمها على الحياة الاخرة بل انكر الحياة الاخرة لشدة ايثاره الحياة الدنيا.

(فان الجحيم هى المأوى) اى المكان الذى يأوى اليه ويستقر فيه.

(واما من خاف مقام ربه) اى مقامه بين يدى ربه ومالك امره يوم تأتى الطامة الكبرى ويتذكر الانسان ماسعى.

(ونهى النفس عن الهوى) اى زجرها عن اتباع الهوى فى مضادة الحق.

(فان الجنة هى المأوى) له والمكان الذى يستقر فيه.

(يسألونك عن الساعة ايان مرساها) متى ارساؤها يريدون متى يقيمها الله وهو سؤال استهزاء واستبعاد لا سؤال استرشاد بدليل انهم لا يقتنعون بالاجابة بل يتمادون فى طغيانهم وهى طبيعة المتعنت.

(فيم انت من ذكراها) اى اى شىء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألوك بيانها وهذا انكار على المشركين مثل هذا السؤال.

(الى ربك منتهاها) اى اليه تعالى منتهى علمها لا الى احدغيره.

(انما انت منذر من يخشاها) حصر لوظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الانذار وابلاغ الرسالة.

(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) هذا تأكيد لما ينبىء عنه الانذار من سرعة مجىء المنذر به وهو البعث والجزاء.

---

(١) انظر فتح القدير للشوكانى (٥ : ٣٧٩).

والمعنى كأنهم يوم يأتيهم المنذر به لم يلبثوا بعد الانذار به (الا عشية) وهي الجزء الاخير من النهار ( او ضحاها ) والضحى اول النهار .

في النص الاقسام على مجيء القيامة بما فيها من بعث وجزاء .

ذكر شبهة منكرى البعث وهي استبعاد اعادة الحياة الى عظام نخرة .

والرد عليهم ببيان القدرة الالهية وان ذلك يتم بزجرة واحدة .

وفيه ان البعث والجزاء للجسم والروح معا .

ثم ذكر مصير كلا الفريقين المسلمين والكافرين .

* * *

## سـورة الانفطـار

النص القرآنى .

قال تعالى : " اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت ، يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين ، وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون ان الابرار لفى نعيم ، وان الفجار لفى جحيم ، يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين ، وما ادراك مايوم الدين ، ثم ما ادراك مايوم الدين ، يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله " .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الانفطار نزلت بعد سورة النازعات .

بيان النص .

(اذا السماء انفطرت) اى انشقت .

(واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت متفرقة .

(واذا البحار فجرت) اى فتحت وشققت جوانبها فزال البرزخ واختلط العذب بالاجاج .

(واذا القبور بعثرت) اى بددت لاخراج مافيها من موتى .

وهذه الاية دليل على البعث الجسمانى وان المبعوث هو الجسم الذى كان فى الدنيا لانه الذى فى القبر .

(علمت نفس ما قدمت واخرت) جواب اذا الاولى وماعطف عليها .

(يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم) اى اى شىء خدعك وجرأك على عصيانه تعالى وتكذيب رسله وانكار العقائد التى هى فى منتهى الوضوح ومنها عقيدة البعث والجزاء .

(الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم مومية الى صحة ماكذب من البعث والجزاء .

(فى اى صورة ماشاء ركبك ) اى ركبك فى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته جل وعلا .

فهل يكون خلقك وتسويتك فى نظام دقيق وتمديلك وتصويرك هذا التصوير الذى شاء الله ان تكون عليه هل يكون كل ذلك عبثا بلا حكمة؟ اولهوا لاغاية له ؟

ان التكذيب بالبعث والجزاء يستلزم اعتقاد العبث فى الخلق والله منزه عن اللهو والعبث .

(كلا ) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وامهاله وجعل ذلك ذريعة للكفربالبعث والجزاء .

(بل ) اضراب عن جملة مقدرة كأنه قيل بعد الردع وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل (تكذبون بالدين ) اى بالجزاء على الاعال فعملكم تكذيبكم على الكفر بما يجبالايمان به من البعث وغيره .

(وان عليكم لحافظين ) لاعمالكم يحصونها عليكم لتجازون عليها يوم الجزاء .

(كراما ) لدينا (كاتبين ) للاعمال والكتابة هى احد اركان الحفظ فالمراد التأكيد على احصاء الاعمال على العباد .

(يعلمون ماتفعلون ) من الافعال قليلا كان اوكثيرا ويضبطونه بالكتابة .

(ان الابرارلفى نعيم وان الفجارلفى جحيم ) استئناف لبيان نتيجة الحفظ والكتابة وهو الجزاء على هذه الاعمال المكتوبة خيرها وشرها .

(يصلونها يوم الدين ) اى يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به .

(وماهم عنها بغائبين ) اى لا يبرحونها فالمراد التأكيد على استمرار المكث بها .

(وما ادراك مايوم الدين ) تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به .

(ثم ما ادراك مايوم الدين ) زيادة تأكيد فى تفخيم ذلك اليوم والمعنى اى شىء ادراك مايوم الدين انه فوق علم البشر .

ثم بين ذلك اليوم فقال (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ) .

اى نفس سواء كانت مؤمنة او كافرة لنفس ايا كانت بعيدة او قريبة شيئا ما (والامر يومئذ) يحصل ذلك لله وحده ظاهرا وباطنا .

فى النص اثبات البعث الجسمانى وان الجسم المبعوث هو الذى كان فى الدنيا لانه الذى فى القبر .

واثبات للقدرة الالهية على البعث ببيان القدرة على الخلق والتسوية والتركيب.

واثبات للجزاء الجسمانى لانه اذا ثبت بعث الجسد ثبت الجزاء الجسمانى ،وقد ثبت البعث الجسمانى فيثبت تبعا له الجزاء الجسمانى .

وفى النص اشارة الى الحكمة وعدم العبث فى خلق الانسان فيلزم اذا اعتقاد البعث والجزاء الجسمانيين والعدل الالهى يقتضى ان يكون الجزاء على الاعمال وان يكون ذلك واقعا على الجسم الذى اقترف ماعليه الجزاء .

* * *

## سـورة الانشـقاق

### النص القرآني .

قال تعالى : " اذا السماء انشقت ، واذنت لربها وحقت ، واذا الارض مدت ، والقت مافيها وتخلت واذنت لربها وحقت ، يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ، فاما من اوتى كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب الى اهله مسرورا ، واما من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا ، انه كان فى اهله مسرورا ، انه ظن ان لن يحور ، بلى ان ربه كان به بصيرا ، فلا اقسم بالشفق ، والليل وماوسق ، والقمر اذا اتسق ، لتركبن طبقا عن طبق ، فمالهم لا يؤمنون ، واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ، بل الذين كفروا يكذبون ، والله اعلم بما يوعون ، فبشرهم بعذاب اليم ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الانشقاق نزلت بعد سورة الانفطار .

### بيان النص .

(اذا السماء انشقت) الشق الخرم الواقع فى الشئ[1] والمراد انشقاق السماء بالغمام كما روى عن ابن عباس .[2]

(واذنت لربها ) استمعت وانقادت لقدرته تعالى اذا اراد انشقاقها .

(وحقت) اى جعلت حقيقة بذلك او وحق لها .

(واذا الارض مدت) اى بسطت باندكاك جبالها وسويت .

(والقت مافيها ) اى رمت مافى جوفها من الموتى .

(وتخلت) اى وخلت عما فيها حتى لم يبق فيها شئ .

---

( ١ ) المفردات فى غريب القرآن للراغب (ص ٢٦٤ ) .
( ٢ ) روح المعانى للالوسى ( ٣٠ : ٧٨ ) .

(واذنت لربها ) فى الالقاء (وحقت )اىوحق لها ان تأذن وتطيع .

وجواب اذا محذوف تقديره تبعثون .

(يا ايها الانسان انك كادح ) اى جاهد مجد فى عملك من خير او شر فهذه طبيعة الانسان .

(الى ربك كدحا ) اى مجد طول حياتك الى لقاء ربك اى الى الموت ومابعده من الاحوال .

(فملاقيه ) اى فى نهاية هذا الكدح تلاقى ربك بنتيجة هذا الكدح فتنال منه الجزاء .

(فاما من اوتى كتابه بيمينه ) اى كتاب عمله وهو المؤمن .

(فسوف يحاسب حسابا يسيرا ) والمراد بالحساب اليسير العرض كما جاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس احد يحاسب الا هلك قلت يارسول الله جعلنى الله تعالى فداك اليس الله تعالى يقول (فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ) قال ذلك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك.(١)

(وينقلب الى اهله مسرورا ) اى الى فريق المؤمنين وان لم يكونوا من عشيرته اذ كل المؤمنين اهل للمؤمن .

(واما من اوتى كتابه وراء ظهره ) اى بشماله من وراء ظهره .

(فسوف يدعو ثبورا ) الثبور الهلاك فهو يقول واثبوراه .

(ويصلى سعيرا ) الصلاء يقال للوقود وللشواء(٢) ،اى انه يوقد النار بجسمه او قاسن حرها والسعير فعيل بمعنى مفعول اى انها مسعرة وموقدة .

(انه كان فى اهله مسرورا ) اى انه كان فى الدنيا مسرورا فرحا لا يخطر بباله امور الاخرة ولم يحاسب نفسه فيحزنه سوء عمله .

(انه ظن ان لن يحور) تعليل لسروره فى الدنيا وعدم مبالاته بالبعث والجزاء ،اى ذلك لانه توهم انه لن يرجع الى الحياة مرة اخرى .

(بلى ) ايجاب للنفى ) اى انه يحور ويرجع حيا مرة اخرى للجزاء .

---

(١) اخرجه البخارى (٨ : ٦٩٧) مع شرحه فتح البارى ومسلم (٨ : ١٦٤).

(٢) الراغب الاصبهانى فى المفردات فى غريب القرآن (ص ٢٨٥) .

(ان ربه كان به بصيرا ) فلم يخلقه عبثا ولا لهوا بل لغاية وحكمة وايضا فهو به بصير يعلم اعماله واحواله واجزاءه فاعادته ليست مستحيلة .

في النص بيان وقت مجيء القيامة وانه يوم انشقاق السماء ومد الارض والقائها مافيها وتخليها .

ويؤخذ من النص ان البعث جسماني لاثباته تناول الكتاب باليمين لغريق ولا خر اخذه من وراء ظهره .

وهو دليل ايضا على ان الجزاء جسماني .

ثم ذكر العلة في عدم ايمان الكافرين بالبعث والجزاء وانها ظنهم عدم الرجعة الى الحياة بناء على استحالتها في نظرهم .

* * *

## سـورة الـروم

النص القرآنى .

قال تعالى : "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعـة كذلك كانوا يؤفكون ، وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذيـن ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الروم نزلت بعد سورة الانشقاق .

بيان النص .

( ويوم تقوم الساعة ) اى القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعـة من ساعات الدنيا .

( يقسم المجرمون مالبثوا ) اى ما اقاموا فى القبور بعد الموت (غـير ساعة) اى زمن قليل ، لقد اقسموا على انهم لم يلبثوا الا ساعة مع انهـم غير متيقنين صحة المقسم عليه بل بناء على ظن فهم كاذبون فى قسمهم فهـم مصروفون عن الصدق بظنهم (كذلك) الصرف عن الصدق فى القول وتحريـه (كانوا ) فى الدنيا ( يؤفكون ) يصرفون بالظن عن الحق وتحريه اتباعـا للظن واتباعا لاهل الظن .

( وقال الذين اوتوا العلم والايمان ) فى الدنيا من الملائكة او الانس والجن او منهم جميعا ردا على الكفرة فى مقالتهم (لقد لبثتم فى كتاب الله ) اى ماكتبه وعينه سبحانه فى اللوح المحفوظ (الى يوم البعث) الذى وعدنا به فى القرآن وعلى السنة الرسل .

(فهذا يوم البعث) الذى كنتم توعدون به وتكذبون وقوعه وتعارضونـه بالشبه والظنون (لكنكم كنتم لا تعلمون ) انه حق لتفريطكم فى النظر فى الادلة الدالة عليه .

( فيومئذ ) اى يومئذ يقع ذلك .

(لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) اى عذرهم .

(ولا هم يستعتبون) اى ولا هم يجابون الى طلب العتبى ، يقال للرجل اذا طلب ان يعتب قد استعتب .

يقال : اعتبنى اى ترك ماكنت اجد عليه ورجع الى مسرتى وهو معتب راجع عن الاساءة[1] .

فى النص اخبار بوقوع البعث واذ قد ثبت صدق المخبر فوقوع المخبر به قطعى الوقوع .

* * *

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤ : ٢٢٧) - بتصرف .

## سـورة المطففـين

النص القرآني .

قال تعالى : " ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ، وما ادراك ما سجين ، كتاب مرقوم ، ويل يومئذ للمكذبين ، الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم ، اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين " .

متى نزلت ؟

اختلف في ذلك[1] .

بيان النص .

( ويل ) الويل شدة العذاب والشر ، اى شدة العذاب كائن (للمطففين ) والتطفيف البخس في الكيل والوزن .

(الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ) صفة مخصصة للمطففين اى اذا ابتاعوا شيئا كالوا لانفسهم كيلا وافيا كاملا .

( واذا كالوهم يخسرون ) اى اذا باعوا للناس كالوا لهم كيلا خاسرا اى ناقصا مبخوسا .

(الا يظن اولئك ) الذين هذا فعلهم (انهم مبعوثون ) بعد موتهم للجزاء على اعمالهم فيخافوا عاقبة بخسهم الناس حقهم فيرتدعوا عنه .

(ليوم عظيم ) وهو يوم الحساب .

( يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين ) اى لحكمه تعالى وقضائه .

(كلا ) ردع لما هم عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والجزاء .

(ان كتاب الفجار لفي سجين ) فسره بقوله ( وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ) .

---

( ١ ) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ( ١ : ١٩٤ ) ، وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (ص ١٣ ) .

(وما ادراك ماسجين ) اى اى شيء اعلمك ماسجين انه فوق مدركات البشـــر (كتاب مرقوم ) اى مسطور وسجين علم لهذا الكتاب .

(ويل يومئذ ) اى ويل يومئذ يقوم الناس لرب العالمين كائن (للمكذبين ) بالبعث والجزاء بدليل قوله (الذين يكذبون بيوم الدين ) اى بيوم الجـــزاء والحساب .

(وما يكذب به ) اى بيوم الدين (الا كل معتد ) اى متجاوز للحد فـــى الاعتداء حيث ينكر البعث وينكر قدرة الله عليه .

(اثيم ) كثير الاثام (اذا تتلى عليه آياتنا ) الدالة على البعـــــث والجزاء (قال ) رادا لها (اساطير الاولين ) جمع اسطورة اى هى حكايات الاولين واباطيلهم والمراد انكار البعث ولكن بلا حجة .

فى النص تأكيد الجزاء على الاعمال ، وتأكيد على البعث حيث انكـــر على المطففين غفلتهم عنه .

* * *

( ١٥٤ )

# الآيـــات المدنيـــة

## سـورة النسـاء

النص القرآني .

قال تعالى : " الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا " .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة النساء نزلت بالمدينة بعد سورة الممتحنة .

بيان النص

(الله لا اله الا هو ليجمعنكم) اللام واقعة فى جواب قسم محذوف ، اى والله ليجمعنكم الله - بعد بعثكم - للجزاء والجمع بمعنى الحشر .

(الى يوم القيامة) اى مفضين الى يوم القيامة او ان الى بمعنى فى اى فى يوم القيامة هذا اخبار من الله تعالى بالجمع بعد البعث فيجب ان يؤمن به .

(ومن اصدق من الله حديثا) الاستفهام انكارى اى لا احد اصدق من الله حديثا .

فى النص اخبار بالجمع بعد البعث وقد قام الدليل على صدق المخبر عن الله فلا بد ان يقع ما اخبر به الصادق على الكيفية التى اخبر بها .

* * *

## سـورة الزلـزلة

### النص القرآني .

قال تعالى : " اذا زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت الارض اثقالها ، وقال الانسان مالها ، يومئذ تحدث اخبارها ، بان ربك اوحى لها ، يومئذ يصـدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الزلزلة نزلت بالمدينة بعد سـورة النسـاء .

### بيان النص .

(اذا زلزلت الارض) اى حركت تحريكا عنيفا .

(زلزالها ) اى الزلزال المخصوص بها الذى قدره الله لها حسب علمه وحكمته البالغة .

(واخرجت الارض اثقالها ) اى ما في جوفها من الاموات .

(وقال الانسان ) عندما يرى ذلك .

(مالها ) اى ماذا جرى لها حتى تزلزلت هذا الزلزال واخرجت ما فى بطنها من الاثقال والظاهر ان هذا القول صادر من الناس بعد بعثهم لا عند النفخة الاولى وهو كقولهم (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا )[1] .

(يومئذ تحدث اخبارها ) اى يومئذ تزلزل الارض زلزالها وتخـرج الارض اثقالها تحدث اخبارها ، فهو جواب اذا ومعنى تحدث اخبارهـا اى تشهد على الانسان بما عمل عليها .

(بان ربك اوحى لها ) اى بسبب ان الله سبحانه اوحـى اليهـا بالتحدث ـ ويحتمل ان يكون وحى ارسال بواسطة ملك ويحتمل ان يكـون وحى الهام .

---

(١) سورة يس : ٥٢

(يومئذ ) اى يومئذ تحدث الارض اخبارها (يصدر الناس) الصدر : الرجوع بعد ورد الماء والرجوع من الحج [1] ، والمراد هنا يصدرون من موقف الحساب الى الجنة او النار (اشتاتا ) متفرقين بحسب اعمالهم كل مع من يماثله فى عمله .

(ليروا اعمالهم ) اى ليبصروا جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا او ليعرفوا اعمالهم اذا اعتبرت يروا علمية .

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) الذرة هى الاجسام الصغيرة جدا كما روى عن ابن عباس انه ادخل يده فى التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها وقال كل واحدة من هؤلاء مثقال ذرة [2] .

فى النص ذكر لبعض مقدمات يوم القيامة التى يعقبها البعث ثم الجزاء .

* * *

---

( ١ ) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ( ٣ : ٣٣٧ ) ، والصحاح للجوهرى ( ٢ : ٧١٠ ) .

( ٢ ) الدر المنثور ( ٦ : ٣٨٣ ) .

## سـورة الحـج

النص القرآني .

قال تعالى : "يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير " .

" يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور " .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة الحج نزلت بالمدينة بعد سورة النور .

بيان النص .

( يا ايها الناس اتقوا ربكم ) اى اجعلوا بينكم وبين عذاب ربكم وقاية .

( ان زلزلة الساعة شيء عظيم ) تعليل لموجب الامر بالتقوى يتضمن التحذير فان الامر الذى تكون مقدماته مهولة يكون حقيقا بالتحذير منه فزلزلة الساعة من مقدمات الساعة وهى من الهول بما ذكر فكيف الساعة نفسها .

( يوم ترونها ) اى الزلزلة فهى المتحدث عنها وهى التى تدرك المرضعات والحوامل كما سيأتى وهذا اولى من حمل ذلك على التشبيه .

(تذهل كل مرضعة عما ارضعت) اى يصيبها الذهول عن رضيعها مع شدة اعتناء الام بالرضيع وعدم غفلتها عنه ولكن امر الزلزلة لفظاعته وهوله جعلها تذهل عنه .

(وتضع كل ذات حمل حملها ) اى تسقطه من الفجيعة والهول الذى نزل بها .

(وترى الناس سكارى )اى يراهم الناظر مثل السكارى او يراهم فيظن انهم سكارى مع ان الحقيقة (وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ) اى ان شدة عذابه تعالى تجعلهم كالسكارى .

(ومن الناس من يجادل فى الله ) اى فى شأن الله مما يجوز عليه ومالا يجوز ومن ذلك انكار قدرة الله على البعث وانكار الجزاء على الاعمال ولكن انكاره لهذا (بغير علم ) اى لانه لا يستند فى انكاره وجداله هذا الى دليل قطعى يورث العلم الضرورى فى القضية .

(ويتبع) فيما ينتهجه فى المجادلة او فيما يأتى ويذر من الامور.

(كل شيطان مريد ) اى متجرد للفساد مصرى من الخير .

(كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ) اى كتب على الشيطان انه من اتخذه وليا (فانه يضله ) اى يجعله ضالا لا يهتدى الى طريق الحق .

(ويهديه الى عذاب السعير) اى بهذا الاضلال اذ ان عذاب السعير نتيجة لهذا الاضلال .

(يا ايها الناس ان كنتم فى ريب) اى فى شك (من البعث) اى من وقوعه او امكان وقوعه (فانا خلقناكم من تراب) الفاء واقعة فى جواب الشرط اى ان كنتم فى ريب من البعث فانظروا فى مبدأ خلقكم (فانا خلقناكم من تراب) اى خلقا اجماليا بخلق اصلكم منه .

(ثم) اى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا لبقاء جنسكم (من نطفة) وهى القطرة من الماء يعبر بها عن المنى (ثم من علقة) اى قطعة من الدم جامدة (ثم مضغة) اى قطعة لحم (مخلقة) اى مستبينة الخلق ظاهرة التصوير .

(وغير مخلقة) اى لم يستبن خلقها ولم يظهر تصويرها فتسقط خارج الرحم (لنبين لكم) هذه الاطوار .

(ونقر في الارحام مانشاء )اى نبقي في الارحام مانشاء ابقاءه .

(الى اجل مسمى ) وهو وقت الولادة .

(ثم نخرجكم طفلا ) اى عند تمام الاجل .

(ثم لتبلغوا اشدكم) اى كما لكم في القوة والعقل والتمييز .

(ومنكم من يتوفى ) اى قبل بلوغ الاشد .

(ومنكم من يرد الى ارذل العمر) اى ارداه وادناه ومعناه يرد الى مثل زمن الطفولة .

(لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ) اى رده الى ارذل العمر فتفقد الحواس قدرتها على الحس شيئا فشيئا من عين واذن وحس واعصاب وهكذا فيفقد اداة تجدد علمه ويقف عند ذلك او ينسى ماعلمه وهو الفند الذى يصيب كبار السن .

(وترى الارض هامدة) اى يابسة لا تنبت[1] .

(فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) اى تخلخلت وانفصل بعض اجزائها عن بعض لخروج النبات .

(وانبتت من كل زوج بهيج ) اى من كل صنف حسن يسر الناظر اليه .

وهذا دليل على البعث وقد تقدم في سورة (ق ) وجه الشبه بين انبات النبات واحياء الاموات .

ثم بين تعالى خمسة امور انتجها العلم بالدليل المتقدم .

فقال تعالى (ذلك بان الله هو الحق ) المشار اليه ماتقدم في الايات من اثار للقدرة الالهية (بان ) اى بسبب ان (الله هو الحق ) اى الثابت لذاته اى خلق الانسان بتلك الطريقة الحكيمة وانبت النبات بتلك الطريقة ايضا لانه الحق في ذاته وصفاته ومن صفاته القدرة التامة التي لا يعجزها شيء وهي باقية لا تنفك عنه (وانه يحيي الموتى ) فلو لم يقدر على احياء الموتى لما قدر على خلق الانسان الاول لانه نقص في القدرة والقدرة الناقصة لا تستطيع ان تخلق هذا الخلق .

(وانه على كل شيء قدير) فلا يعجزه شيء اراده .

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب (ص ٥٤٥ ) .

(وان الساعة آتية لا ريب فيها ) لان الحكمة تقتضى اثباتها ليجازى الله كل عامل بعمله .

(وان الله يبعث من فى القبور) للجزاء على الاعمال لثبوت الحكمة والقدرة والعلم له سبحانه ولانتفاء العبث والسفه واللهو واللعب عنه تعالى .

فلو لم تكن هذه الامور الخمسة لما تم خلق الانسان وتطويره بهذه الطريقة ، ولما اعتنى به فى كل اطواره فخلق لكل طور ما يناسبه لكن خلق الانسان بهذه الكيفية موجود مشاهد وخلقه هكذا غير جائز ان يكون عبثا او سفها او لهوا او لعبا من الخالق القادر المدبر الحكيم العليم .

واذا كان ذلك كذلك فلابد ان يبعث ولابد ان يجازى بعمله خيرا او شرا .

فى النص تهويل لامر الساعة .

وفيه الاستدلال لامكان البعث ولثبوت الحكمة ونفى العبث عن فعله تعالى .

* * *

## سورة المجادلة

النص القرآني .

قال تعالى :

( ١ ) "ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين ، يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد " .

( ٢ ) "يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون" .

متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة المجادلة نزلت بالمدينة بعد سورة المنافقون .

بيان النص .

(ان الذين يحادون الله ورسوله ) اصل الحد المانع بين الشيئين لئلا يختلطا والمعنى ان الذين يمانعون الله ورسوله بان يخالفوا امره ونهيه .

(كبتوا ) اصل الكبت الرد بعنف وتذليل[1] اى انهم ردوا بغيظهم لم ينالوا ما ارادوا من الممانعة .

(كما كبت الذين من قبلهم ) من كفار الامم الماضية .

(وقد انزلنا آيات بينات) الواو حالية اى والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله من الامم السابقة ليعتبروا .

(وللكافرين عذاب مهين ) يذهب بعزهم وكبرهم .

وهذا العذاب كائن (يوم يبعثهم الله جميعا ) بحيث لا يبقى منهم احد والضمير راجع للكفار الذين يحادون الله ورسوله من الاولين والاخرين .

وفي هذا تأكيد لقضية البعث والجزاء .

---

( ١ ) المفردات في غريب القرآن للراغب ( ص ٤٢٠ ) .

(فينبئهم بما عملوا ) اى يخبرهم بالذى عملوه ليجازيهم عليه .

(احصاه الله ) اى انه لم يفته سبحانه منه شيء .

(ونسوه ) اى والحال انهم نسوه (والله على كل شيء شهيد )لا يغيب عنه امر من الامور .

قوله (يوم يبعثهم الله جميعا ) اى اذكر يوم .

(فيحلفون له ) على انهم مسلمون ويقولون (والله ربنا ماكنا مشركين ) والاية فى المنافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على انهم مسلمون .

(ويحسبون انهم على شيء ) من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا .

(الا انهم هم الكاذبون ) اى البالغون الغاية فى الكذب حيث تجاسروا على الكذب امام علام الغيوب ويظنون ان ذلك ينجيهم من المسئولية والجزاء .

فى النص اخبار مجمل عن البعث تذكيرا بما تقدم وتأكيدا على القضية فلا مجاز ولا تمثيل .

* * *

## سـورة التغابـن

### النص القرآني .

قال تعالى : " زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم ، وذلك على الله يسير ، فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا والله بما تعملون خبير ، يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم " .

### متى نزلت ؟

تذكر روايات ترتيب النزول ان سورة التغابن نزلت بالمدينة بعد سورة الجمعة .

### بيان النص .

( زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ) الزعم ادعاء العلم[1] اى انهم انكروا البعث من غير دليل قطعى بل لمجرد الظن والادعاء .

( قل ) يامحمد ( بلى ) ايجاب لما بعد النفى اى تبعثون .

( وربى لتبعثن ) اخبار بالبعث مؤكد بالقسم لانهم عاندون منكرون فاقتضى المقام تأكيد الخبر لهم .

( ثم لتنبئون بما عملتم ) بعد البعث تأكيد للجزاء بعد تأكيد وقوع البعث .

( وذلك على الله يسير ) ، ( انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) .

( فآمنوا بالله ورسوله ) الفاء تفريعية اى قد بينا لكم الادلة القطعية فآمنوا بالله ورسوله .

( والنور الذى انزلنا ) وهو القرآن .

---

( ١ ) قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة ( ٣ : ١٠ ) : الزعم القول من غير صحة ولا يقين .

(والله بما تعملون خبير) عالم بباطن ما تعملون فيجازيكم عليه .

(يوم يجمعكم ليوم الجمع) هو يوم الحشر .

(ذلك يوم التغابن) اشارة الى يوم الجمع والتغابن تفاعل من الغبن اى يغبن بعض الناس بعضا .

فى النص التأكيد على قضية البعث والجزاء بصورة اجمالية وبيان ان ذلك على الله يسير .

ويؤخذ من تكرار التأكيد على هذه القضية منع ارادة التمثيل .

* * *

بهذا النص من سورة التغابن نكون قد استعرضنا الايات القرآنية الدالة على البعث فوجدناها ـ بجميع الاسباب بجميع الدواعي بجميع اختلاف الموضوعات ـ تؤكد البعث والجزاء وانهما للروح والجسد معا فهذه النصوص الدالة دلالة قاطعة على البعث والجزاء للروح والجسد لا تقبل المجاز ولا التأويل ،فالتشكيك او الارتياب فيه ليس منهجا اسلاميا في بيان كتاب الله بل انه خروج على دعوة الرسل ،ومن هنا حكم الغزالي على من خالف في ذلك بالكفر لانه مخالف لقطعي القرآن كما يأتي تفصيل ذلك .

والايات اثبتت البعث بامرين :

الاول : اثبات امكان البعث،

والثاني : اثبات وقوع البعث .

اما الامكان فاثبته القرآن ببيان قدرة الله على البعث .

واما الوقوع فاثبته بثلاثة امور :

الاول : باثبات صدق المخبر به عن الله .

الثاني : باثبات الحكمة في وقوعه .

الثالث: بالتأكيد عليه بالتكرار مع اختلاف الدواعي والاسباب وانه سيكون بالجسد والروح معا .

* * *

## الرد على الفلاسفة في انكارهم البعث الجسماني

قال الغزالي : مسألة في ابطال انكارهم لبعث الاجساد ورد الارواح الى الابدان ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة والحور العين وسائر ماوعد الله به الناس .

وقولهم ان كل ذلك امثلة ضربت لعوام الخلق لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين هما اعلى درجة من الجسمانيين (١) .

هذا مجمل اعتقاد الفلاسفة في هذه القضية كما يصوره لنا الغزالي .

فما هو دليلهم لهذا الاعتقاد ؟

قال الغزالي : قالوا تقدير العود الى الابدان ثلاثة اقسام :

( ١ ) اما ان يقال الانسان عبارة عن البدن والحياة التي هي عرض قائم به كما ذهب اليه بعض المتكلمين ، واما النفس التي هي قائمة بنفسها ومدبرة للجسم فلا وجود لها ومعنى الموت انقطاع الحياة اي امتناع الخالق عن خلقها فتنعدم والبدن ايضا ينعدم ومعنى المعاد اعادة الله تعالى للبدن الذي انعدم ورده الى الوجود واعادة الحياة التي انعدمت . او يقال مادة البدن تبقى ترابا ومعنى المعاد ان يجمع ويركب على شكل آدمي وتخلق فيه الحياة ابتداء ، فهذا قسم .

( ٢ ) واما ان يقال النفس موجودة وتبقى بعد الموت ولكن يرد البدن الاول بجمع تلك الاجزاء بعينها ، وهذا قسم .

( ٣ ) واما ان يقال ترد الانفس الى اي بدن سواء كان من تلك الاجزاء بعينها او من غيرها ويكون العائد ذلك الانسان من حيث ان النفس تلك النفس فاما المادة فلا التفات اليها . اذ الانسان ليس انسانا بها بل بالنفس .

وهذه الثلاثة باطلة .

فاما الاول فظاهر البطلان ، لانه مهما انعدمت الحياة والبدن فاستئناف خلقهما ايجاد لمثل ماكان لا لعين ماكان ، بل العود المفهوم

---

( ١ ) تهافت الفلاسفة لابي حامد الغزالي (ص ٢٨٢ ) تحقيق الاستاذ سليمان دنيا ـ الطبعة الخامسة .

هو الذى يفرض فيه بقاء شيء وتجدد شيء .الخ

واما القسم الثانى وهو تقدير بقاء النفس وردها الى ذلك البدن بعينه فهو لو تصور لكان معادا اى عودا الى تدبير البدن بعد مفارقته لكنه محال اذ بدن الميت يستحيل ترابا او تأكله الديدان والطيور ويستحيل ماء وبخارا وهواء ويمتزج بهوا ء العالم وبخاره ومائه امتزاجا يبعد انتزاعه واستخلاصه لكن ان فرض ذلك اتكالا على قدرة الله تعالى فلا يخلو اما ان يجمع الاجزاء التى مات عليها فقط ،فينبغى ان يعاد الاقطع ومجدوع الانف والاذن وناقص الاعضاء كما كان وهذا مستقبح لا سيما فى اهل الجنة وهم الذين خلقوا ناقصين فى ابتداء الفطرة فاعادتهم الى ماكانوا عليه من الهزال عند الموت فى غاية النكال .

هذا ان اقتصر على جمع الاجزاء الموجودة عند الموت .

وان جمع جميع اجزائه التى كانت موجودة فى جميع عمره فهو محال من وجهين .

احدهما ان الانسان اذا تغذى بلحم انسان وقد جرت العادة فى بعض البلاد ويكثر وقوعه فى اوقات القحط فيتمذر حشرهما جميعا لان مادة واحدة كانت بدنا للمأكول وصارت بالغذاء بدنا للآكل ولا يمكن رد نفسين الى بدن واحد .

والثانى انه يجب ان يعاد جزء واحد كبدا وقلبا ويدا ورجلا فانه ثبت بالصناعة الطبية ان الاجزاء العضوية يتغذى بعضها بفضله غذاء البعض فيتغذى الكبد باجزاء القلب وكذلك سائر الاعضاء فالى اى عضو تعاد ؟

بل لا يحتاج فى تقرير الاستحالة الاولى الى اكل الناس الناس فانك اذا تأملت ظاهر التربة المعمورة علمت بعد طول الزمان ان ترابها جثث الموتى قد تتربت وزرع فيها وغرس وصارت حبا وفاكهة وتناولتها الدواب فصارت لحما وتناولناها فصارت ابدانا لنا فما من مادة يشار اليها الا وقد كانت بدنا لاناس كثيرين فاستحالت وصارت ترابا ثم نباتا ثم لحما ثم حيوانا .

بل يلزم منه محال ثالث وهو ان النفوس المفارقة للابدان غير متناهية والابدان اجسام متناهية فلا تفى المواد التى كانت مواد الانسان

بانفس الناس كلهم بل تضيق عنهم .

واما القسم الثالث وهو رد النفس الى بدن انسانى من اى مـــادة كانت واى تراب اتفق فهو محال من وجهين :

احدهما ان المواد القابلة للكون والفساد محصورة فى مقعر فلـــك القمر لا يمكن عليها مزيد وهى متناهية والانفس المفارقة للابدان غير متناهية فلا تفى بها .

والثانى ان التراب لا يقبل تدبير النفس مابقى ترابا بل لا بـــد ان تمتزج العناصر امتزاجا يضاهى امتزاج النطفة ، بل الخشب والحديـــد لا يقبل هذا التدبير ولا يمكن اعادة الانسان ، وبدنه من خشب او حديـــد بل لا يكون انسانا الا اذا انقسمت اعضاء بدنه الى اللحم والعظم والاخلاط ومهما استعد البدن والمزاج لقبول نفس استحق من المبادىء الواهبـــة للنفوس حدوث نفس ، فيتوارد على البدن الواحد نفسان .

وبهذا بطل مذهب التناسخ وهذا المذهب هو عين التناسخ فانه رجع الى اشتغال النفس بعد خلاصها من البدن بتدبير بدن آخر غـــير البدن الاول .

فالمسلك الذى يدل على بطلان التناسخ يدل على بطلان هـــذا المذهب (١) .

هذا مذهب الفلاسفة فى هذه القضية كما صوره لنا الغزالى .

فما هو الرد عليه ؟

سنقدم اولا رد الغزالى عليهم ثم نتبعه بدفاع ابن رشد ثـــم نناقش القضية على ضوء الدلالة القرآنية .

## اعتراض الغزالى على الفلاسفة .

لم يرد الغزالى على القسمين الاول والثانى ، واكتفى بالرد علـــى القسم الثالث وهو رد النفس الى بدن انسانى من اى مادة كانـــت واى تراب اتفق .

---

( ١ ) من كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى - بتصرف (ص ٢٩٤ - ٢٩٩) .

فقال : الاعتراض ان يقال بما تنكرون على من يختار القسم الاخير ويرى ان النفس باقية بعد الموت وهو جوهر قائم بنفسه فان ذلك لا يخالف الشرع بل دل عليه الشرع في قوله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين ... ) .

ويقول صلى الله عليه وسلم (ارواح الصالحين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش) .

وبما ورد من الاخبار بشعور الارواح بالخيرات والصدقات وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر وغيره كل ذلك يدل على البقاء .

نعم قد دل مع ذلك على البعث والنشور بعده وهو بعث البدن وذلك ممكن برد ها الى بدن اى بدن كان سواء كان من مادة البدن الاول او من غيره او من مادة استؤنف خلقها فانه بنفسه لا ببدنه اذ تتبدل عليه اجزاء البدن من الصغر الى الكبر بالهزال والسمن وتبدل الغذاء ويختلف مزاجه مع ذلك وهو ذلك الانسان بعينه فهذا مقدور لله تعالى ويكون ذلك عودا لتلك النفس فانه كان قد تعذر عليها ان تحظى بالالام واللذات الجسمية بفقد الالة وقد اعيدت اليها آلة مثل الاولى فكان ذلك عودا محققا .

وما ذكرتموه من استحالة هذا بكون النفوس غير متناهية وكون المواد متناهية محال لا اصل له فانه بناء على قدم العالم وتعاقب الادوار على الدوام ومن لا يعتقد قدم العالم فالنفوس المفارقة للابدان عنده متناهية وليست اكثر من المواد الموجودة وان سلم انها اكثر فالله تعالى قادر على الخلق واستئناف الاختراع وانكاره انكار لقدرة الله تعالى على الاحداث وسبق ابطاله في مسألة حدوث العالم .

واما احالتكم الثانية بان هذا تناسخ فلا مشاحة في الاسماء فما ورد الشرع به يجب تصديقه فليكن تناسخا ونحن انما ننكر التناسخ في هذا العالم واما البعث فلا ننكره سمى تناسخا او لم يسم تناسخا .

وقولكم ان كل مزاج استعد لقبول نفس استحق حدوث نفس من المبادى رجوع الى ان حدوث النفوس بالطبع لا بالارادة وقد ابطلنا ذلك في مسألة حدوث العالم كيف ولا يبعد على مساق مذهبكم ايضا ان يقال

انما استحق حدوث نفس اذا لم تكن ثم نفس موجودة فتستأنف نفس.[1]

هذا رد الغزالى عليهم فى هذه المسألة ولنا عليه اعتراض سنورده بعد ذكر موقف ابن رشد ان شاء الله .

## الغزالى يكفر الفلاسفة .

قال الغزالى : فان قال قائل قد فصلتم مذاهب هؤلاء افتقطعون بتكفيرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم .

قلنا تكفيرهم لابد منه فى ثلاث مسائل ،احداها مسألة قدم العالم وقولهم ان الجواهر كلها قديمة،الثانية قولهم ان الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الاشخاص ،الثالثة انكارهم بعث الاجساد وحشرها .

فهذه ثلاث مسائل لا تلائم الاسلام بوجه ومعتقدها معتقد كذب الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وانهم ذكروا ماذكروه على سبيل المصلحة تمثيلا لجماهير الخلق وهذا هو الكفر الصراح الذى لم يعتقده احد من فرق المسلمين .[2]

## موقف ابن رشد من اعتراض الغزالى هذا على الفلاسفة .

نفى ابن رشد وجود قول لمن تقدم من الفلاسفة فى حشر الاجساد فقال :

ولما فرغ[3] من هذه المسألة[4] اخذ يزعم ان الفلاسفة ينكرون حشر الاجساد وهذا شىء ماوجد لواحد ممن تقدم فيه قول .

والقول بحشر الاجساد اقل ماله منتشر فى الشرائع الف سنة .

والذين تأدت الينا عنهم الفلسفة هم دون هذا العدد من السنين وذلك ان اول من قال بحشر الاجساد هم انبياء بنى اسرائيل الذين

---

(١) تهافت الفلاسفة (ص ٢٩٩ - ٣٠٠) .
(٢) نفس المصدر (ص ٣٠٧ - ٣٠٩) .
(٣) يعنى الغزالى .
(٤) يعنى المسألة السابقة لهذه فى كتابه تهافت الفلاسفة .

اتوا بعد موسى عليه السلام وذلك بين من الزبور ومن كثير من الصحف المنسوبة لبني اسرائيل .

وثبت ذلك في الانجيل وتواتر القول به عن عيسى عليه السلام وهو قول الصابئة وهذه الشريعة قال ابو محمد بن حزم انها اقدم الشرائع .(١)

## ابن رشد يرى ان ماورد في المعاد الجسماني هو من قبيل التمثيل .

ويرى ابن رشد ان ماورد في المعاد الجسماني من نصوص القرآن والسنة ليست حقيقة انما المراد منها التمثيل لتفهيم العوام .

اذ يقول : وكذلك الامر فيما قيل في المعاد فيها(٢) هو احث على الاعمال الفاضلة مما قيل في غيرها ولذلك كان تمثيل المعاد لهم بالامور الجسمانية افضل من تمثيله بالامور الروحانية كما قال سبحانه وتعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار) ، وقال عليه السلام (فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ، وقال ابن عباس (ليس في الاخرة من الدنيا الا الاسماء) .(٣)

## موقف ابن رشد من تكفير الغزالي للفلاسفة .

قال ابن رشد : وهذا الرجل كفر الفلاسفة بثلاث مسائل :

احداها هذه(٤) وقد قلنا كيف رأى الفلاسفة في هذه المسألة وانها عندهم من المسائل النظرية .

والمسألة الثانية قولهم انه لا يعلم الجزئيات وقد قلنا ايضا ان هذا ليس من قولهم .

والثالثة قولهم بقدم العالم وقد قلنا ايضا ان الذي يعنون بهذا الاسم ليس هو المعنى الذي كفرهم به المتكلمون .

---

( ١ ) تهافت التهافت لابن رشد ، تحقيق سليمان دنيا ( ٢ : ٨٦٤ ) .
( ٢ ) يعني في الشريعة الاسلامية .
( ٣ ) تهافت التهافت لابن رشد ( ٢ : ٨٧٠ ) .
( ٤ ) يعني مسألة انكارهم لحشر الاجساد .

وقال فى هذا الكتاب انه لم يقل احد من المسلمين بالمعاد الروحانى وقال فى غيره ان الصوفية تقول به وعلى هذا فليس يكون تكفير من قال بالمعاد الروحانى ولم يقل بالمحسوس اجماعا .

وجوز هو القول بالمعاد الروحانى .

وقد تردد ايضا فى غير هذا الكتاب فى التكفير بالاجماع .

ولا شك ان هذا الرجل اخطأ على الشريعة كما اخطأ على الحكمة.[1]

هذا مذهب الفلاسفة وهذا اعتراض الغزالى عليهم فيه ثم تكفيره لهم ، وهذا دفاع ابن رشد عنهم فى كتابه تهافت التهافت .

مناقشة المسألة على ضوء الدلالة القرآنية .

وقفة عند رأى الغزالى ..

اختار الغزالى رد النفس الى بدن اى بدن كان سواء كان من مادة البدن الاول او من غيره او من مادة استؤنف خلقها .

وفات الغزالى ان آيات كثيرة من القرآن الكريم تدل على ان المعاد هو الجسد الاول كما فاته حديث عجب الذنب الذى يحدد الكيفية التى يعاد بها الجسم الاول .

قال تعالى : " افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور[2] والذى فى القبور هى الاجساد الاولى .

وقال تعالى : "ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره[3] والمقبور هو الجسد الذى كان فى الدنيا وهو المنشر .

ويقول جل وعلا " يحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه[4] ، وهذا يدل على ان المعاد هو الجسد الاول .

وقال جل شأنه : " ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب

---

( ١ ) تهافت التهافت ( ٢ : ٨٧٣ - ٨٧٤ ) .
( ٢ ) سورة العاديات : ٩
( ٣ ) سورة عبس : ٢١ - ٢٢
( ٤ ) سورة القيامة : ٣ - ٤

الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١) .

وقد بينت السنة وجه كيفية هذا الخروج وانه للجسم الاول نفسه جاء في حديث ابى هريرة الذى اخرجه الشيخان قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مابين النفختين اربعون ، قالوا اربعون سنة ؟ قال : ابيت ، قالوا اربعون شهرا ؟ قال ابيت قالوا اربعون يوما ؟ قال ابيت ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (٢) .

وفى رواية لمسلم ويبلى كل شيء من الانسان الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب (٣) .

وهذا يدل دلالة لا شك فيها ان المعاد هو الجسم الاول نفسه لا مثله لان عجب الذنب هو الذى يتكون منه الخلق يوم القيامة فهو محتفظ بكل خصائص الشخص المعاد فاذا اراد الله بعث الناس انبتهم من الارض كما ينبت البقل بواسطة عجب الذنب الذى لا يبلى ، ولذا قال فى الاية الكريمة ( كذلك الخروج ) .

وقال سبحانه : " يوم يخرجون من الاجداث سراعا " (٤) والذى فى الاجداث هو الجسم الاول ولو كانت الاعادة من اى مادة كانت لما كان لتخصيص الخروج من الاجداث فائدة .

اما كيفية تكون الانسان من عجب الذنب فهذا امر مسكوت عنه ومن الكيفيات الاخروية التى لا تعلم الا بنص .

ويجوز ان يكون عجب الذنب - الذى يحفظ خصائص الشخص المعاد - ينمو نمو البذرة حتى يكتمل انسانا سويا فيكون المعاد الجسد الاول من حيث ان عجب الذنب يحفظ صفات وخصائص الشخص المعاد .

---

( ١ ) سورة ق : ٩ - ١١

( ٢ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ( ٨ : ٦٨٩ ) وصحيح مسلم ( ٢١٦٨ ) .

( ٣ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ( ٨ : ٥٥١ ) .

( ٤ ) سورة المعارج : ٤٣

والاقرب من هذا ان يجمع الله له الاجزاء المتفرقة فيمتصها امتصاص البذرة الغذاء من الارض، فيكون المعاد الجسم الاول عينه ولا شك فالله على كل شيء قدير ولعل هناك كيفية تكون بها الاعادة من عجب الذنب ولكن لا نعقلها . (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) .

والاسلم للخوض في مثل هذه الامور الوقوف مع النص فنؤمن بما جاء به النص ونترك الكيفية لله تعالى .

## شبه الفلاسفة والقرآن الكريم .

كل الشبه التي تقدم ذكرها عن الفلاسفة لا ترد على البعث الجسماني كما هو في الكتاب والسنة وانما تلزم البعث كما تصوروه حسب اهوائهم .

وسأبين - بتوفيق الله تعالى - بنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة كيف ان هذه الشبه لا ترد على البعث في العقيدة الاسلامية المأخوذة من الكتاب والسنة .

## رد الشبهة الاولى .

ان هذا التقدير لا يرد على البعث المذكور في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لان صاحبه افترض فيه انعدام الروح والبدن كليهما ثم خلقهما مرة ثانية ونحن لا ننكر قدرة الله على ذلك ولكن لا يلزم من قدرته تعالى على اعادة المعدوم ان يكون البعث اعادة للمعدوم فقد شاء الله الا تكون الاعادة كذلك ولا معقب لحكمه .

والذي ننكره على صاحب هذا المعتقد مخالفته لنصوص الكتاب والسنة الدالة على عدم فناء الروح وعدم انعدام الجسد عدما محضا .

ونقول له : من اين لك ان البعث في الاسلام يكون هكذا ؟

فالروح في العقيدة الاسلامية مخلوقة لا تفنى .

واليك الادلة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ادلة بقاء الروح .

( ١ ) قال تعالى : " وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب "[١] .

( ٢ ) حديث ابن عباس رضى الله عنهما ( مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير . . الحديث )[٢] .

( ٣ ) حديث ابن عمر عن ابيه رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه )[٣] .

( ٤ ) حديث انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (لولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر )[٤] .

( ٥ ) حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ماغربت الشمس فسمع صوتا فقال : يهود تعذب فى قبورها )[٥] .

( ٦ ) حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى الكسوف وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى اسرائيل تعذب فى هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض ورأيت ابا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبة فى النار . . . )[٦] الحديث .

( ٧ ) حديث عائشة رضى الله عنها وفيه (ثم امرهم ان يتعوذوا من عذاب القبر )[٧] .

( ٨ ) حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو (اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار . . )[٨] .

---

( ١ ) سورة غافر : ٤٥ - ٤٦

( ٢ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ( ٣ : ٢٤٢ ، صحيح مسلم ( ١ : ١٦٦ ) .

( ٣ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ( ٣ : ١٦١ ) .

( ٤ ) صحيح مسلم ( ٨ : ١٦١ ) .

( ٥ ) صحيح مسلم ( ٨ : ١٦١ ) .

( ٦ ) صحيح مسلم ( ٣ : ٣٠ - ٣١ ) .

( ٧ ) صحيح البخارى ( ٢ : ٥٣٨ ) ، صحيح مسلم ( ٨ : ١٦١ ) .

( ٨ ) صحيح البخارى ( ٣ : ٢٤١ ) ، صحيح مسلم ( ٢ : ٩٣ ) .

( ٩ ) حديث انس فى سؤال القبر (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العبد اذا وضع فى قبره وتولى وذهب اصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فاقعداه فيقولان له ماكنت تقول فى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم - فيقول اشهد انه عبدالله ورسوله فيقال انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا .

واما الكافر - او المنافق - فيقول لا ادرى كنت اقول مايقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين )[1] .

(١٠) حديث البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل فى القبر قال : اشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة )[2] .

(١١) حديث عبدالله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة )[3] .

(١٢) حديث كعب بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (انما نسمة المؤمن طائر فى شجر الجنة حتى يبعثه الله عز وجل الى جسده يوم القيامة )[4] .

وانت ذا ترى ان هذه النصوص يستحيل الجمع بينها وبين القول بفناء الروح وانعدام الجسد عدما محضا فالمعدم المحض لا ينعم ولا يعذب ولا يسأل ولا يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، فلم يبق الا الجزم

---

( ١ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ( ٣ : ٢٠٥ ) ، وصحيح مسلم ( ٨ : ١٦١ ) .

( ٢ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ( ٨ : ٣٧٨ ) ، وصحيح مسلم ( ٨ : ١٦٢ ) .

( ٣ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ( ٣ : ٢٤٣ ) ، وصحيح مسلم ( ٨ : ١٦٠ ) .

( ٤ ) موطأ مالك بتعليق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى (ص ١٦٤ ) ، وسنن النسائى بشرح السيوطى ( ٤ : ١٠٨ ) ، ومسند الطيالسى ( ١ : ١٥٤ ) .

ببقاء الروح وعدم فنائها وبأن الجسد لا يعدم عدما محضا .

الدليل على ان الجسد لا ينعدم عدما محضا .

اما دليلنا على عدم انعدام الجسد عدما محضا فقوله صلى الله عليه وسلم (ويبلى كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه ، فيه يركب الخلق )[1] .

وفى رواية (كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب)[2] .

وفى رواية (ان فى الانسان عظما لا تأكله الارض ابدا فيه يركب يوم القيامة قالوا اى عظم هو يارسول الله قال عجب الذنب)[3] .

لكل هذه الادلة على بقاء الروح وعلى ان الجسد لا يصير عدما محضا نقول ان هذه الشبهة لا ترد على البعث المذكور فى القرآن والسنة ولا تضره شيئا انما ترد على البعث فى اعتقاد صاحب الشبهة التى بناها على اصل فاسد .

الجواب على الشبهة الثانية .

وهذه الشبهة ايضا لا ترد على البعث المذكور فى القرآن والسنة .

( أ ) قال شيخ الاسلام ابن تيمية :( واذا كانت الاستحالة غير مؤثرة فقول القائل يعيده على صفة ماكان وقت موته او سمنه او هزاله او غير ذلك جهل منه فان صفة تلك النشأة الثانية ليست مماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال ان الصفات هى المغيرة اذ ليس هناك استحالة ولا استفراغ ولا استلاء ولا سمن ولا هزال ولا سيما اهل الجنة اذا دخلوها فانهم يدخلونها على صورة ابيهم آدم طول احدهم ستون ذراعا كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما ، وروى ان عرضه سبعة اذرع وهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخطون)[4] .

---

( ١ ) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ( ٨ : ٥٥١ ) .
( ٢ ) صحيح مسلم ( ٨ : ٢١٠ ) .
( ٣ ) صحيح مسلم ( ٨ : ٢١٠ ) .
( ٤ ) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه .

(ب) واما الفرض الثاني للشبهة فباطل ومردود بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويبلى كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه فيه يركب الخلق)[١].
وفي رواية (ان في الانسان عظما لا تأكله الارض ابدا فيه يركب يوم القيامة قالوا اى عظم هو يارسول الله قال عجب الذنب)[٢].
فالحديث يدل على ان هذا الجزء من الانسان لا يقبل البلى فهو يحتفظ بخصائص الانسان الى ذلك اليوم الذى قدره الله لينشأ منه الانسان مرة اخرى بالكيفية التى تقدمت عند قوله تعالى (كذلك الخروج)[٣].

الجواب عن الثالثة .

ان الاصل الذى بنيت عليه هذه الالزامات باطل فلا ترد على البعث المذكور فى الكتاب والسنة لان البعث المذكور فى القرآن والسنة انما هو للجسد الذى كان فى الدنيا بعينه .

والادلة على هذا كثيرة منها :

(١) قوله تعالى (افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور)[٤] والذى فى القبور هى الاجساد التى كانت فى الدنيا بعينها والا لما كان للتقيد بما فى القبور فائدة .

(٢) قوله تعالى (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه)[٥] فجمع العظام دليل على ان المبعوث هو الجسد الذى كان فى الدنيا .

(٣) قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم، قل يحييها الذى انشأها اول مرة)[٦] روى فى سبب نزول هذه الايات عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء العاصى بن وائل

---

(١) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى (٨ : ٥٥١) .
(٢) صحيح مسلم (٨ : ٢١٠) .
(٣) تقدم فى تفسير الايات فى سورة (ق) .
(٤) سورة العاديات : ٩
(٥) سورة القيامة : ٣
(٦) سورة يس : ٧٨ - ٧٩

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففتته فقال يا محمد ايبعث هذا بعد ما ارم ؟

قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الايات (١) .

وهذا دليل واضح على ان المبعوث هو الجسد الذى كان فى الدنيا بعينه لان الرسول صلى الله عليه وسلم اجابه بنعم على سؤاله - ايبعث الله هذا بعد ما ارم - والمشار اليه هو العظم الحائل فلا يصح من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبعوث بالحق ولبيان الحق ان يقرر عقيدة غير صحيحة ولا ان يقرها فكيف وهذا وقت الحاجة ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة فلو لم يكن المعاد هو ذلك العظم بعينه لما قال له الرسول صلى الله عليه وسلم نعم ، اى يبعث هذا العظم بعد ما ارم .

فماذا بقى بعد هذا لقائل ان يقول ؟

والحديث الذى تقدم ذكره قريبا (ان فى الانسان عظما لا تأكله الارض ابدا فيه يركب يوم القيامة قالوا : اى عظم هو يارسول الله قال عجب الذنب) (٢) .

وبهذا اتضح ان هذه الشبه لا تلزم البعث فى العقيدة الاسلامية المأخوذة من القرآن والسنة - واتضح ان معتقدها مخالف للادلة القطعية التى لا تقبل التأويل ولا التشكيك .

وان اصحابها كفار لا شك فى كفرهم .

* * *

---

( ١ ) انظر باب النقول فى اسباب النزول للسيوطى (ص ١٨٧) .

( ٢ ) صحيح مسلم (٨ : ٢١٠) .

## الخاتمة

مما تقدم فى ابحاث هذه الرسالة تبين لنا ان الاديان السابقة للاسلام انقسمت قسمين :

القسم الاول : اقر بالمعاد كقدماء المصريين والزرادشتية وقسم من اليهود ، والنصارى .

والقسم الثانى : انكر المعاد وهؤلاء قسمان :

الاول : قال بالتناسخ كالهند وسية وهؤلاء جعلوا الجزال ينال فى الدنيا .

والثانى : انكر الجزاء وهم الدهرية ، كما انكروا وجود الله .

والاديان المقرة بالمعاد لم تهتم بالبعث كما اهتم به القرآن .

اما السماوى فلمكان التحريف الذى غير معالم الدين حتى جعله فى مصاف الاديان التى هى من اختراع البشر .

واما غير السماوى فامره بين .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وجاء القرآن الكريم ففصل امر البعث والجزاء واكد عليه حتى جعله كأنه رأى عين .

ومن دراستنا للايات القرآنية الدالة على البعث تبين لنا :

( ١ ) ان القرآن تدرج فى الاستدلال لهذه القضية بطريقة حكيمة حسب مقتضيات الاحوال .

( ٢ ) بين امكان البعث بالاستدلال بالنشأة الاولى على الثانية وبالتدبير العام للكون .

( ٣ ) ان الحكمة تقتضى البعث والجزاء .

( ٤ ) ان البعث والجزاء للروح والجسد معا .

( ٥ ) ان المنكرين للبعث ليس لديهم حجة الا الاستبعاد ، وعدم الدليل المادى كأحياء آبائهم .

( ٦ ) ان ادعاء كون البعث والجزاء للروح وحدها وانما مثل البعث والجزاء جسديا كفر لا يلائم الاسلام بوجه .

( ٧ ) كيفية البعث وان المبعوثين ينبتون كما ينبت النبات من الارض بواسطة عجب الذنب .

( ٨ ) ان شبه الفلاسفة واتباعهم لا ترد على البعث كما هو في القـــــرآن والسنـــة .

* * *

## قائمة المراجع

( أ ) القرآن الكريم

(ب) كتب التفسير :

( ١ ) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم
للقاضى ابى السعود بن محمد العمادى ، تحقيق عبد القادر احمد عطا
الناشر مكتبة الرياض الحديثة .

( ٢ ) اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن
محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطى

( ٣ ) انوار التنزيل واسرار التأويل
للقاضى البيضاوى
ط/الاولى ١٣٠٥هـ - المطبعة العثمانية .

( ٤ ) التسهيل لعلوم التنزيل
لمحمد بن احمد بن جزى الكلبى
ط/الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م - دار الكتاب العربى - بيروت.

( ٥ ) تفسير القرآن العظيم
لابى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى
ط/الاولى ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م - الناشر دار الاندلس - بيروت .

( ٦ ) جامع البيان فى تفسير القرآن
لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى
ط/الثانية - اعيد طبعه بالاوفست عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

( ٧ ) الجامع لاحكام القرآن
لابى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى
ط/الثالثة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م - الناشر دار القلم .

( ٨ ) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور
لجلال الدين السيوطى
طبع الميمنية بمصر ١٣١٤هـ .

( ٩ ) روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى
لابى الفضل محمود الالوسى
الناشر دار احياء التراث العربى - بيروت .

(١٠) فتح القدير
محمد بن على الشوكانى
ط/الثانية ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م - مصطفى البابى الحلبى .

(١١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل
لجار الله محمود بن عمر الزمخشرى
الناشر دار الكتاب العربى - بيروت .

(١٢) لباب التأويل فى معانى التنزيل
لعلاء الدين على بن محمد الخازن
طبع مطبعة التقدم العلمية بمصر .

(١٣) محاسن التأويل
لمحمد جمال الدين القاسمى
ط/الاولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م - عيسى البابى الحلبى .

(١٤) معالم التنزيل
لابى محمد حسين بن مسعود البغوى
طبع مطبعة التقدم العلمية بمصر .

(جـ) كتب علوم القرآن :

( ١ ) الاتقان فى علوم القرآن
لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى
ط/الثالثة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م .

( ٢ ) البرهان فى علوم القرآن
لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى
ط/الاولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م - عيسى البابى الحلبى .

( ٣ ) لباب النقول فى اسباب النزول
لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى
ط/الثانية مصطفى البابى الحلبى - ١٣٧٣هـ/١٩٥٢م .

( د ) كتب الحديث :

( ١ ) جامع الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى
ط/الثانية ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م - الناشر محمد عبد المحسن الكتبى .
( ٢ ) سنن ابى داود مع شرحها عون المعبود
ط/الثانية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م - الناشر محمد عبد المحسن الكتبى .
( ٣ ) سنن النسائى مع شرحها للسيوطى
ط/الاولى - نشر دار احياء التراث العربى - بيروت .
( ٤ ) شرح صحيح مسلم للنووى
طبع المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩هـ .
( ٥ ) صحيح مسلم
طبع مكتبة الجمهورية العربية بمصر .
( ٦ ) صحيح البخارى
الناشر دار احياء الكتب العربية .
( ٧ ) فتح البارى
لابن حجر العسقلانى
طبع السلفية .
( ٨ ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
لنور الدين على بن ابى بكر بن حجر الهيثمى
ط/الثانية ١٩٦٧م - الناشر دار الكتاب - بيروت .
( ٩ ) مسند الامام احمد بترتيب الساعاتى
ط/الاولى ١٣٧٣هـ .
(١٠) مسند ابى داود الطيالسى بترتيب الساعاتى
(١١) الموطأ
للامام مالك بن انس بترقيم محمد فؤاد عبد الباقى

(د) كتب العقائد :

(١) الادب والدين عند قدماء المصريين
لانطون زكرى
ط/الاولى ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م .

(٢) اساطير العالم القديم
لعدة مؤلفين ، ترجمة احمد عبد الحميد يوسف

(٣) الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة للاسلام
للدكتور عبد الواحد وافى

(٤) اللـــــــه
لعباس محمود العقاد
ط/السادسة ـ دار المعارف بمصر .

(٥) الله والانسان
لعبد الكريم الخطيب
الطبعة الثانية .

(٦) تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة
لابى الريحان محمد بن احمد البيرونى
طبع الهند ١٣٧٧هـ .

(٧) تهافت التهافت
لابى الوليد محمد بن رشد
تحقيق الدكتور سليمان دنيا ـ ط/الثانية ـ دار المعارف بمصر .

(٨) تهافت الفلاسفة
لابى حامد الغزالى
تحقيق الدكتور سليمان دنيا ـ ط/الخامسة ـ دار المعارف بمصر .

(٩) الرد على الدهريين
لجمال الدين الافغانى

(١٠) الفتاوى الكبرى
لشيخ الاسلام ابن تيميه

(١١) الفصل فى الملل والنحل
لابن حـــزم
(١٢) قصة الحضارة
ول ديورانت
ط/الثالثة ١٩٦١م .
(١٣) الكنز المرصود فى قواعد التلمود
ترجمة الدكتور حنا نصر الله
ط/الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
(١٤) المسيح فى الاناجيل الاربعة
لفتحى عثمان
(١٥) مشاهد القيامة فى القرآن
لسيد قطب
طبع بيروت .
(١٦) مفتاح دار السعادة
لابن قيم الجوزية
الناشر زكريا على يوسف .
(١٧) مقارنة الاديان
دكتور احمد شلبى
(١٨) مقارنات الاديان القديمة
لابى زهرة
(١٩) الملل والنحل
للشهرستانى على الفصل فى الملل والنحل لابن حزم
ط/الثانية (بالاوفست) دار المعرفة ـ بيروت .

(هـ) الكتاب المقدس :

( ١ ) التـــوراة
( ٢ ) الانجيـــل

( و ) كتب اللغة :

( ١ ) القاموس المحيط
للفيروز آبادى
ط/الثانية ١٣٧١هـ/١٩٥٢م - الناشر مصطفى البابى الحلبى .

( ٢ ) لسان العرب
لابن منظور
الناشر دار صابر - بيروت - ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

( ٣ ) معجم مقاييس اللغة
لابى الحسين بن فارس
ط/الثانية - مطبعة الحلبى بمصر .

( ٤ ) المفردات فى غريب القرآن
للراغب الاصفهانى
تحقيق محمد سيد كيلانى - ط/الاخيرة مطبعة الحلبى بمصر .

( ٥ ) النهاية فى غريب الحديث والاثر
لابن الاثير
ط/الاولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م - تحقيق محمود محمد الطناجى
وطاهر احمد الزاوى - الناشر المكتبة الاسلامية .

* * *

## الفهرست

الصفحة


شكر وتقدير .....
الخطبة ..... ١
خطة البحث ..... ٣
المقدمة ..... ٤
البعث لغة واصطلاحا ..... ٤
البعث فى عقائد الامم السابقة للاسلام ..... ٤
القائلون بالبعث والجزاء منهم :
( ١ ) قدماء المصريين ..... ٤
( ٢ ) الزرادشتية ..... ٧
( ٣ ) من قال بالبعث والجزاء من اليهود ..... ٨
( ٤ ) البعث عند النصارى ..... ١٠
القائلون بالتناسخ ..... ١١
( ١ ) الصابئة ..... ١١
( ٢ ) الهندوسية ..... ١٢
النرفانا ..... ١٣
( ٣ ) وقال بالتناسخ جماعة من اليهود ..... ١٣
( ٤ ) وممن قال بالتناسخ المانوية ..... ١٤
( ٥ ) وممن قال بالتناسخ جماعة من الفلاسفة ..... ١٤
المنكر للبعث والتناسخ ..... ١٤
( ١ ) من اليهود فرقتان انكرتا البعث واليوم الاخر
( أ ) السامرية ..... ١٤
( ب ) الصدوقيون ..... ١٤
( ٢ ) الدهرية ..... ١٤
من اعلام الدهريين ..... ١٥
دراسة الايات على ترتيب نزولها ..... ١٦

| | الصفحة |
|---|---|
| سورة المزمل ..... | ١٧ |
| سورة التكوير ..... | ٢٠ |
| سورة الليل ..... | ٢٣ |
| سورة الفجر ..... | ٢٥ |
| سورة العاديات ..... | ٢٧ |
| سورة عبس ..... | ٢٩ |
| سورة القارعة ..... | ٣٢ |
| سورة القيامة ..... | ٣٥ |
| سورة المرسلات ..... | ٣٩ |
| سورة ق ..... | ٤٤ |
| سورة الطارق ..... | ٥٥ |
| سورة القمر ..... | ٥٧ |
| سورة ص ..... | ٥٩ |
| سورة يس ..... | ٦٢ |
| سورية مريم ..... | ٦٨ |
| سورة الواقعة ..... | ٧٠ |
| سورة الشعراء ..... | ٨١ |
| سورة النمل ..... | ٨٤ |
| سورة الاسراء ..... | ٨٨ |
| سورة هود ..... | ٩٣ |
| سورة الحجر ..... | ٩٦ |
| سورة الانعام ..... | ٩٨ |
| سورة الصافات ..... | ٩٩ |
| سورة لقمان ..... | ١٠٣ |
| سورة سبأ ..... | ١٠٤ |
| سورة فصلت ..... | ١٠٧ |
| سورة الشورى ..... | ١٠٩ |
| سورة الجاثية ..... | ١١٠ |

الصفحـــة

سورة الاحقاف ..... ١١٣
سورة الذاريات ..... ١١٥
سورة النحل ..... ١١٩
سورة المؤمنون ..... ١٢١
سورة السجدة ..... ١٢٨
سورة الملك ..... ١٣٠
سورة الحاقة ..... ١٣٢
سورة المعارج ..... ١٣٥
سورة النبـأ ..... ١٣٧
سورة النازعات ..... ١٤٠
سورة الانفطار ..... ١٤٤
سورة الانشقاق ..... ١٤٧
سورة الـــروم ..... ١٥٠
سورة المطففين ..... ١٥٢
الايات المدنيـــة ..... ١٥٤
سورة النســـاء ..... ١٥٥
سورة الزلزلـــة ..... ١٥٦
سورة الحج ..... ١٥٨
سورة المجادلة ..... ١٦٢
سورة التغابن ..... ١٦٤
تعليق على الايات الدالة على البعث ..... ١٦٦
الرد على الفلاسفة فى انكارهم البعث الجسمانى .... ١٦٧
اعتراض الغزالى على الفلاسفة ..... ١٦٩
الغزالى يكفر الفلاسفة ..... ١٧١
موقف ابن رشد من اعتراض الغزالى ..... ١٧١
ابن رشد يرى ان ماورد فى المعاد الجسمانـــــى
هو من قبيل التمثيل ..... ١٧٢
موقف ابن رشد من تكفير الغزالى للفلاسفة ..... ١٧٢

الصفحة

مناقشة المسألة على ضوء الدلالة القرآنية ..... ١٧٣
شبه الفلاسفة والقرآن الكريم ..... ١٧٥
رد الشبهة الاولى ..... ١٧٥
ادلة بقـــاء الروح ..... ١٧٦
الدليل على ان الجسد لا ينعدم عدما محضا ..... ١٧٨
الجواب عن الشبهة الثانية ..... ١٧٨
الجواب عن الشبهة الثالثة ..... ١٧٩
الخاتمـــة ..... ١٨١
قائمة المراجع ..... ١٨٣

*****